جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

# التنظير النقدي لكتاب "سحابة صيف"
# للدكتور عبدالحميد بدران ..
# درس في نقد النقد

الدكتور
## ياسر السيد عبدالعال البنَّا
أستاذ الأدب والنقد المساعد فى كلية الدراسات
الإسلامية والعربية بقنا - جمهورية مصر العربية

العدد الخامس والعشرون
للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م
الجزء العاشر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

# التنظير النقدي لكتاب " سحابة صيف "
# للدكتور عبدالحميد بدران .. درس في نقد النقد

**ياسر السيد عبدالعال البنَّا**

قسم الأدب والنقد ـ كلية الدراسات الإسلامية والعربية بقنا ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: yasserelsayed.4119@azhar.edu.eg

**الملخص**

يأتي هذا البحث في "نقد النقد"، وعنوانه: " التنظير النقدي لكتاب "سحابة صيف" للدكتور عبدالحميد بدران .. درس في نقد النقد"؛ لتحليل فكره الناقد ورده لأساسه النظري؛ وليكون أول درس مطول فيما حوى الكتاب من مقالات نقدية، وليلقي الضوء على مدِّ إبداع الأديب لرؤاه الناقدة التي جاءت في كتابه بين الموضوعية، والفنية، والموازنة؛ لتعالج موضوعات وقضايا أدبية ونقدية كثيرة متنوعة، بين قديمة ومعاصرة، سطر أكثرها في مقالاته الناقدة والتي ضمها كتابه "سحابة صيف"، وجاء بعضها في كتبه الأخرى ودواوينه..أما خطة هذه الدراسة فقد جاءت في مقدمة وخاتمة بينهما سبعة مباحث، اختصت بعرض ونقد الرؤى النقدية للأديب في كتابه، وعناوينها: "نقد الشاعر"، و"نقد الناقد"، و"النقد الموازن"، و"نقد نظرية الإلهام" بما يلحقها من طرق الكتابة، و"النقد المفاهيمي" من حيث تحرير المصطلحات والتعريفات، و"قولبة الفن"، ثم "النقد المنهجي" بعناوين: النقد "المنظوم، والتشبيهي، والتأصيلي، والتفسيري"، ثم آخرها: "نقد الأسلوب"، وتؤكد الدراسة أن الرؤى النقدية في كتاب "سحابة صيف" جاءت يمدها أدب صاحبه الناقد إن شعرًا وإن نثرًا، كما تؤكد تداعي تلك الرؤى لواقع الحركة النقدية المعاصرة، وقضاياها المتنوعة.

**الكلمات المفتاحية** : نقد النقد– سحابة صيف– النقد التشبيهي – النقد المنظوم– فكرة الإلهام.

# Critical theorizing of the book "A Summer Cloud" by Dr. Abdul Hamid Badran.. A lesson in criticism of criticism

**Yasser Al-Sayed Abdel-Aal Al-Banna**
Department of Literature and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies, Qena, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
**Email:** yasserelsayed.4119@azhar.edu.eg

## Abstract

**This research comes in "Critique of Criticism" entitled: "Critical theorizing of the book "A Summer Cloud" by Dr. Abdul Hamid Badran"; To analyze his critical thought and return it to its theoretical basis; And to be the first extended lesson in his critical articles, shedding light on his creativity for his critical visions that came between objectivity, artistry, and balance; To address many diverse literary and critical topics and issues, between ancient and contemporary, most of them came in his critical articles, which were included in his book "A Summer Cloud", and some of them came in his other books and collections. As for the plan of this study, it came in an introduction and conclusion, between them seven sections, which specialized in presenting and criticizing the critical visions of the writer, under the titles: "Critique of the Poet", "Criticism of the Critic", "Balance Criticism", and "Criticism of Inspiration Theory" with the following methods Writing, and "conceptual criticism" in terms of editing terms and definitions, "art molding", then "methodological criticism" with the titles: "systematic, analogous, original, and interpretive criticism", and finally: "style criticism." The study confirms that the critical vision Dr. "Abdul Hamid Badran" came to be provided by his critical literature, whether poetry or prose, as it confirms the deterioration of Dr. "Badran's" critical visions of the reality of the contemporary monetary movement, and its various issue .**

**Keywords: Criticism of criticism - Dr. Abdel Hamid Badran - analogy criticism- Systematic criticism - the idea of inspiration**

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدّمة:

الحمد لله رب العالمين، سبحانك لا أدب لنا إلا ما ألهمتنا، ولا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، ونصلي ونسلم على صاحب الخير العميم، وعلى الآل والصحب الكريم. أما بعد:

فليس للفن قوانين ثابتة أو قواعد عامة يتخذها الناقد لتكون عمدته في إصدار حكمه النقدي، أو رأيه الفني الذي يتنوع بتعدد الأدوات الفنية لصاحبه، والأثر الذي يحدثه العمل الأدبي في نفسه، لكن الأمر – في ذات الوقت– ليس متروكًا على علاته، فثمة دعائم ومرتكزات وبعض معايير ينبغي للناقد مراعاتها حيال عمله النقدي.

وفي ضوء هذه القناعة النقدية تأتي الرؤى الناقدة في كتاب "سحابة صيف" للأديب الدكتور "عبد الحميد بدران"[1]واضحة الملامح والقسمات،

---

١– الدكتور "عبد الحميد بدران": أديب مصري أكاديمي يعمل أستاذًا للأدب والنقد في جامعة الأزهر، له العديد من الأعمال الأدبية الإبداعية شعرًا ونثرًا، والعديد من الدراسات النقدية المنشورة، ولد في قرية "حصة شبشير" مركز "طنطا" في ١٩٦٧/٢/٢٢م، وتعلم في الأزهر، وحصل على الليسانس عام ١٩٩٨م، ثم عين معيدًا عام ١٩٩٩م، ثم حصل على "الماجستير" عام ٢٠٠٢م، و"الدكتوراة" عام ٢٠٠٦، وتدرج في الترقي حتى درجة "أستاذ" عام ٢٠١٨م، ومن أبحاثه العلمية "شعر الشابي بين التقليد والتجديد"، ومن دواوينه: "رحى الذكرى"، و"شاطئ السلوان"، و"فصل السكون"، ومن رواياته: "خاتم سليمان"، و"ساعات الخطر"، كما كتب مقالات نقدية ضمها كتابه الناقد موضوع البحث: "سحابة صيف"، وكتب مجموعتين قصصيتين هما: "لون الظل"، و"رائحة الخوف"، ويُكتب في أدبه بالتوازي مع هذا البحث كتاب "الدكتور عبد الحميد بدران .. شهادات ودراسات" بدعوة من المؤتمر الأول لمدرسة "شباب النقد الأدبي" يصدر في عام٢٠٢١م، منحه الله العطاء الموفق والعمر المديد. [ينظر ترجمته في كتابه: "ابن الكاتب"– ص١٢٤– ط المؤسسة العربية للعلوم والثقافة– القاهرة– الأولى ١٤٤١هـ =٢٠١٩م]

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يرويها نبع فيَّاض بات من قبل يروي إبداع صاحبها وأسلوبه الأدبي، وقد جاءت تلك الرؤى الناقدة وتمدها خلفيات ثقافية ملهمة، وتبعثها بيئات داخلية وخارجية للأديب بين النشأة والريف والأسرة، والأزهر والوطن والأمة، والدين والعمل والثورة، والحب والحنين والغربة، وغيرها من معاني القيمة التي جاءت آلامًا تغزه بحرابها، وآمالًا تدفعه برضابها، وموهبة أدبية تنشده، ورؤية واعية تمده وتؤيده، وأدوات فنية كملت لديه وقبضت عليها يدُه، ووعيًا بعلم النقد، وفهمًا عميقًا لدوره.

ومن ثم يأتي هذا البحث في "نقد النقد" بعنوان: "التنظير النقدي لكتاب "سحابة صيف" للدكتور عبد الحميد بدران "؛ لتحليل رؤاه الناقدة وردها لأساسها النظري؛ وليكون أول درس مطول في تلك المقالات التي ضمها الكتاب يلقي الضوء على مدِّ إبداع الأديب لنقده الذي جاء بين الموضوعية، والفنية، والموازنة؛ ليعالج موضوعات وقضايا أدبية ونقدية كثيرة متنوعة، قديمة ومعاصرة، جاء أكثرها في كتاب "سحابة صيف"، وترامى بعضها في كتب أخرى للأديب وعدد من دواوينه.

وإذا كان حق النقد واجب فإن دراستي النقدية لكتاب "سحابة صيف" – ورؤيتي لملامح وقسمات الوجه الناقد لصاحبه – لم يكن باعثها أداء هذا الحق فحسب، وإنما تأتي تقديمًا للقيمة الحقيقية، والهدف السامي للأدب والنقد، وتأكيدًا على جوهرهما الصحيح، لاسيما في زمن تختلط فيه القيم وتهتز الموازين.

أما عن خطة هذه الدراسة فتأتي في مقدمة وخاتمة بينهما سبعة مباحث، اختصت بنقد وتنظير ما ورد في الكتاب من رؤى نقدية، وذلك في عناوين: "نقد الشاعر"، و"نقد الناقد"، و"النقد الموازن"، و"نقد نظرية الإلهام"

بما يلحقها من طرق الكتابة، و"النقد المفاهيمي" من حيث تحرير المصطلحات والتعريفات، و"قولبة الفن"، ثم "النقد المنهجي"، وعناوينه: النقد "المنظوم، والتشبيهي، والتأصيلي، والتفسيري"، ثم آخرها: "نقد الأسلوب"، وذلك بمنهج تحليلي ناقد يرى في الرؤى النقدية للدكتور "عبد الحميد بدران" مادة وافية وجديرة بالدرس والنقد، وبمنهج بحثيٍّ متجرد يؤمن بالحيدة التامة، وعدم التأثر بما تولَّد من انفعال ذاتي وقناعة شخصية بأدب الأديب الناقد وفنه، وكذلك يؤمن بأن عالم النقد الأدبي لن يعود إلى تلك الأحكام العامة بحيازة سبقٍ لأديب دون عرض أدبه على ميزان من ذهب ونقد وذوق، ولكل منها قيمته في عالم القيمة والفن.

"وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ "[1]

الباحث

١- من الآية (٨٨)، سورة هود.

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

٩٤٨٠

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

# المبحث الأول:

# نقد الشاعر

## المبحث الأول : نقد الشاعر

غير خفي أن الأديب هو أول ناقد لفنه، وليس غريبًا حديث الشعراء عن الشعر والشاعر ولعله ينتمي من حيث الفن للأدب والنقد الذاتيين، حين يمد رؤى النقد نزوع أدبي راق، وإحساس يخاطب الشعر: "أيها الشعر الذي ملأ عليَّ نفسي، وأمدني بكل ما أَستعذِب من عذاب، تحية لك بحجم ما أفأت عليَّ من ظلال، وما جسدت من شعور، وما ألهبت من عواطف، وما سطَّرت من رؤى"(١).

وليست بعيدة الرؤية الحالمة للشعر والمكانة العالية للشاعر أن يعيها الأدباء لأنفسهم، وعلى ذلك جاءت رؤية الدكتور "عبد الحميد بدران" للشعر والشعراء حين يسمون من أرض الواقع الوعرة إلى آفاق الإبداع الفسيحة، يترجمون عن الناس من حولهم ما تعجز ألسنتهم عن ترجمته والإبانة عنه، يقول: "إذا سألوك عن الشعر فقل لهم: وماذا تعرفون عن الشعر ورسالته؟ ومَنْ غير الشاعر يستطيع تجسيد المشاعر بحيث تصير شخوصًا تتحرك، وأقدامًا تسعى، وأجنحة تطير؟، ومن غير الشاعر يصف فيجيد الوصف، ويأسى فتتعزى النفس، ويفرح فتتزين الأرض بنور ربها؟ ومن غير الشاعر ينشد الجمال ليرى وجه الأرض واحة خضراء، سماؤها الأمل، وأرضها التسامح، وهواؤها الإخاء؟ ..."(٢)

لكن هذه الأوصاف قطعًا لا تصْدق على كل الشعراء، لذا يرى الدكتور "عبد الحميد بدران" أن الشاعر الحق هو الذي "إذا رام نظم الشعر قامت

---

١- مقدمة ديوان "فصل السكون"- أ.د.عبد الحميد بدران- ص ٦- ط دار النابغة للنشر والتوزيع- الأولى ١٤٣٩هـ =٢٠١٨م

٢- "سحابة صيف"- د/ عبدالحميد بدران- ص ٣- ط دار النابغة للنشر والتوزيع-١٤٣٨هـ =٢٠١٧م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الألفاظ في خدمته، وتلبَّبَت المعاني لدعوته وترتاض له شمس القوافي... ولايزال يأتي بالبيت النادر، والمثل السائر، والحكمة البالغة..." [١]، وكذلك يرى الشاعر الحق هو الذي يظهر أثره في معاصريه ومنْ تلاهم، وبقدر ما تتأتى نفسه طامحة للعلاء إلا أنه يتقبل النقد بكل أريحية، ولا يأنف منه في عموم أو خصوص، بل ربما عليه أن يسعى إلى النقد؛ ليعرف موقعه في الكتابة، فيتلطف إلى ناقد جيد، يدفع إليه قصيدته، ليدله على مواطن الضعف فيها، ثم يدفع بها إلى ناقد آخر، مجردة من اسم صاحبها؛ لأن هذا التجرد هو الذي يعطي الفرصة لإعمال الناقد والمبدع آلتهما النقدية في النص، بما يفيد العملية الإبداعية ويعود عليها بالصقل، كما أن الكاتب سيفيد حين تنكشف عنه غشاوة الإعجاب الآني بالنص فيرى ما لم يكن يبصر، فيراجع، ويغير قناعاته مطمئنًا، والمهم عنده أن ينقي النص من الشوائب حتى يظهر في أحسن حلَّة، وأجمل لباس، ومن ثم يتطور أدبه، وتشرق صوره، ويذيع صوته، وتحسن سيرته، وتصفو سريرته[٢].

وللشاعر الحق – بحسب المؤلف– أن يتصف بقدر من الرفض والتعالي اللذين ترشحهما الأحداث الحياتية في كل عصر من العصور، ولشعره أن يحمل شيئًا منهما[٣].

ولا يخفى ما عناه بكلمتي "الرفض والتعالي" من معنى الإباء والتسامي وعزة الشعر والشاعر ورقيهما، بعيدًا عما قد تشي به الكلمتان من معاني التمرد والغرور والكبر، مما قد يعزل الشاعر في برج عاجي يباعد بينه وبين متلقي فنه ويوسع الهوة بينهما ويقطع المسير على أسهم النقد الواعي

---

١- "سحابة صيف" ص٣١.

٢- ينظر : المصدر السابق- ص٢٩.

٣- ينظر: المصدر السابق- ص ٣٠.

البناء، غير أن الدكتور "بدران" رضي للشاعر بقدرٍ من تضخم الذات مع إحاطتها ببعض المحاذير، يقول: "لقد حدَّثت من قبل عن تضخم الذات لدى المبدعين، وباركته طالما كان الشاعر واعيًا بوظيفة الشعر التهذيبية الجمالية، وطالما كانت نفس الأديب في توق مستمر لاتهام الآلة الإبداعية بالقصور، لأن هذا الاتهام هو الذي يدفع إلى التجويد والتهذيب حتى لا تتضخم الذات فتتضخم معها دواوين الشاعر دون أن تنطوي على معاناة شعرية تستحق القراءة..." [١]، ثم هو يمثل لاتهام الذات وشعور التقصير عن حق الإبداع بما جاء عن الخليل بن أحمد وقد قيل له: "مالك لا تقول الشعر؟، فقال: الذي يجيئني لا أرضاه، والذي أرضاه لا يجيئني"[٢]

وكذلك من نقده "الشاعر" ما وجهه الدكتور "عبد الحميد بدران"" لشخصيته الإبداعية "ابن القوافي"، تلك الشخصية التي نحتها خياله صورةً شعرية، وبث فيها النبض الإنساني فإذا هي شاعر، وراحَ بفكر ناقد وقلب أديب يكيل له التهم، ومن ذلك قوله يخاطب ابن القوافي: [٣]

| | |
|---|---|
| ( مفاعلتن ) يُغازلُها ( فعولُ ) | وأنت هناك في سَفَهٍ تجولُ |
| تركتَ مدامعَ الأحرارِ كلمى | وجاهدتَ الهواء بما تقولَ |
| ( فعولن ) ملءَ روحك لا تبارى | ونفح شذاك من حنقٍ غلولَ |
| وخِلْكَ منصِبٌ وأخوك قرشٌ | ولا خلٌ يدوم ولا خليلَ |
| رويدك يا شويعرَ أيَّ شعرٍ | تخنث حين أغراه القبولَ؟ |

---

١- "سحابة صيف" – ص٩.

٢- المصدر السابق، نقلًا عن "الحيوان" للجاحظ- ٦٧/٣- ط دار الكتب العلمية- بيروت- الثانية ١٤٢٤هـ .

٣- من ديوانه "فصل السكون"- ص٣٢، والأبيات من بحر الوافر.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهو بهذا النقد المنظوم شعرا يستنفر في الشعراء النزوع إلى الحرية والعزة والتمرد على مشاعر الذل والخنوع، ويبكي فيهم توجيه الشعر وتسييسه والتكسب به، وتمييع أغراضه، وتسفيه غاياته ومراميه حتى ليأتي مبتذلًا ممقوتًا.

وفي ختام قصيدته وبذات الفكر الناقد، ونزوع أكثر إلى حيث الفن يفيض الناقد في بلوغ معاني صورته، يقول:

وخلتك شاعرًا من ظهر حرّ ... فمال الشعر وانكشف الفضولُ

وكنت الوافر (المعقول) قبحًا ... تطاردك السماء بما تقولَ

فما أغنت عن السفه الأماني ... ولا أغنى عن الفكر الذهولَ

وما أغنى عن الحلم انتظار ... ولا أغنى (مفاعلتن) (فعول)

ولعل أكثر ما يبدو من حيث الفن هو صورة "النقد التشبيهي المنظوم" في البيت الثاني، ويشبه فيه الدكتور بدران "الشاعر" على تلك الصورة المستكرهة – بحسب ذاك الوصف في القصيدة- بصورة مهملة متروكة يأتي عليها الشعر من بحر الوافر "المعقول"، وهي إحدى صور الزحاف في "مفاعلتن" تتحقق حين يدخلها "العصب" بتسكين خامسها، وتحول إلى "مفاعيلن"، ثم أجازوا فيها –بعد العصب- حذف الخامس ويسمى "العقل"، فتصير "مفاعلن"، وشاهده قولهم:

منازلٌ لِفَرْتِنا قفارٌ ... كأنما رسومها سطورُ[1]

---

١- ينظر: "دراسات في علم العروض والقافية" – أحمد محمد الشيخ- ص٩٢- ط الدار الجماهرية للنشر- طرابلس١٩٩٧م.

وهي صورة وإن كانت صحيحة عروضيًا إلا أنها ممقوتة مهملة، وقد بدت الدلالة النقدية للتشبيه بهذه الصورة –وكذا دلالة القصيدة– واضحة لتصوير الشاعر الوصولي الذي تبرر غاياتُه وسائلَه في رؤية ناقدة أكدها الدكتور "عبدالحميد بدران" بما ذكر في قصيدته "رسائل إلى شاعر جبان" وفيها قوله بتفعيلة "الكامل": (١)

أعلنتُها في وجهِهِ
مذ كان مطرقة بأيدٍ من حديد
أعلنتُ وأْد الحرف
في دمه الملوث بالدِّياثه
في وريدٍ من جليد
وبرئتُ ليلتها من الشعراء
والشعرِ المسيَّس
واهتزازات النشيد

فهو يعد الشعر السياسي الموجه مطرقة في يد باطشة، ومعول هدم في يد ظالمة يتبرأ الشاعر منها، بل ومن الاتصاف بالشعر مخافة أن تناله الخطيئة ويلحقه الإثم.

ومن القصيدة نفسها يأتي قوله:

أعلنتُ أنَّ الشعر ما عرف القوافي
لقمةً أو نقمةً
تشوي القلوب على صدى
( هل من مزيد )؟
أقسمتُ ما عرف العروبةَ
مَنْ تصدى بالحروف

---

١– ديوانه "رحى الذكرى" ص١٤– ط دار النابغة للنشر والتوزيع –الأولى١٤٣٧هـ = ٢٠١٦م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مُراقبًا نزف الأخوة في الوريد
أقسمت ما عرف الكتابة
مَنْ أناخ العيرَ في قصر النِّخاسة
يبتغي حور القصيد

وفي المعاني ذاتها، وذات اللون من النقد المنظوم شعرا ما جاءفي ديوانه "رحى الذكرى"، قوله بلسان المتنبي: (١)

أُعيدُ قراءة الآتي من التاريخِ
أرقُبُ دورة التزييفِ
عند محاق ضوْء الحقِّ
في نجمٍ من الأزماتْ
أرتب أعصُرَ الخلفاءِ
مزهوًا بدور الشعرِ
في إخماد صوت الشعب والثوراتْ

إلى أن يقول:

أُنقِّب في تراث المجد
مشدودًا بسحر الحرفِ
معطوفًا على الكلمات
وعند عبيد كافورٍ
يُراق الحرف مقهورًا
تناغي دمعَهُ الحسراتْ

تحمل الأبيات في القصيدتين حكمًا نقديًا واضحًا، حيث يأبى الأديب الناقد على أصحاب هذا الوصف أن يكونوا شعراء، وينفي عن هذا اللون من الشعر المُوجَّه أن يكون شعرًا، بين مَن يستعمل في الشعر أغراضه ومعانيه

١- من قصيدته "من آخر كلمات المتنبي" - ديوانه "رحى الذكرى" ص١٨، بتفعيلة الوافر.

طُعمًا يقدمه لصيد، أو مطية يمر عليها لهدف، أو سلمًا يعلوه لبغية أو مطمع، وبين من يستعمل الشعر للنَّيْل من قوميته، أو الطعن في شرف وطنه وحقوق قضايا أمته، ويسلم للأديب هذا الحكم النقدي المدفوع بنزوع قومي واع يتلاءم مع قيمة النقد، ووجدان أدبي شاعر وصادق يدعم قيمة الأدب والفن

وكذلك يلحق بهذه الرؤية الناقدة للشعراء ما جاء في قصيدته "ماذا عليك"، يخاطب شاعر المبالغة في المديح الفج ملحقا به شاعر الحب والهوى، يقول:[١]

تجتثُّ المعاني
من ضلوعِ قصيدتِكْ
فاركض برجلِكَ
غازلِ الحرفَ الأبيَّ
وعِشْ نبيَّ رسالتِكْ
ألْقِ العصا
واخلعْ نِعالَ المدحِ
واستفزز صدى حُريتِك
يا أنتَ سلْ نعليكَ
غاص رواؤها حين اقتفيتَ
فخلٍّ ليلَى
واركب البحرَ السَّحيقَ
وذُقْ مرارة فعلتِكْ

هو خطاب نقدي واع للشاعر حين يبالغ في المديح إلى حد الابتذال وذهاب القيمة، وكذا حين يبالغ في شعر الحب والهوى، إلى حد ينفق فيه

---

١- ديوانه "رحى الذكرى" ص٢٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

على نفسه، وغير بعيد عن ذلك أن يغتنم هذا الشاعر جانب التأثير في فنه وأدبه فيتخذه أداة للظلم ومعولًا للهدم، وحق للأديب الناقد هذا التصوير، فإذا كان من توجيهٍ للشعر فنحو آمال كبار تعلي القيمة وتنمي الأدب والفن، لاسيما وقد تأكد بما لا يدع سبيلًا للشك أن المستقبل لانصراف الأدب عن الأغراض الموجهة للأشخاص ومعاني الذات إلى المعاني الجامعة والسامية تعبيرًا عن واقع المجتمعات وقضايا الأمم.

وقريب من هذا ما وجهه المؤلف من نقد للشعراء أصحاب الظهور المزيف ممن "يجوبون منتديات الشعر قاطبة باحثين عن كل ما يلبي طموحهم، لعلهم يقابلون بشهادة تقدير من هنا، أو كلمة إعجاب من ها هنا، أو لقب من هناك... لم يفيدوا قاعدةً تضبطُ البنية، ولا لطيفة تضبط الإيقاع، فكل همهم رصف الكلمات وتدبيج القوافي، فإذا ما قوبلوا مرة بتوجيه ناقد، انتفخت أوداجُهم وولوا على أعقابهم..." [١]

فهي رؤية واقعية ناقدة تنطوي على أسى وحزن لحال هؤلاء الشعراء حين يضيع بينهم حق النقد في سبيل تقييم خادع وتكريم مزيف أو سماع كلمات الإطراء والمديح، ولا دلالة لها في عالم النقد من حيث الفن والسير نحو التحسين والتجويد، وتحقيق القيمة والهدف الحقيقي للشعر، وهو ما يسمِّيه الدكتور "عبد الحميد بدران" "رسالة الشاعر" والتي يراها "تكمن في رؤية الجمال والإحساس به، والبحث عنه، والتوجيه إليه، لأنه لغة الفطرة التي فطر الله الناس عليها"[٢]، وهي غاية مُثلَى ليتنا نودِعها رأي كل ناقد، ومن قبله نودعها قلب كل أديب.

---

١- مقدمة ديوانه "فصل السكون" ص٦.

٢- ديوانه "رحى الذكرى" ص١٤.

# المبحث الثاني

# نقد الناقد

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

## المبحث الثاني

## نقد الناقد

بين الحديث عن المنتديات والصالونات الأدبية والحديث عن المناقشات العلمية جاء أكثر ما وجهه المؤلف من نقد للحركة النقدية المعاصرة، ومن ذلك قوله: "هناك من المنتديات ما يذكي جذوة الحراك، بما يثيره من سجالات ومعارضات ونقاشات ومحاضرات، وهناك من يفعل ذلك، ولكن على نحو سِرِّي لا يفيد الشاعر منه سوى كونه حصل على جائزة، أما كيف استحق هذه الجائزة؟ وما مقومات الجودة في عمله ليحتذيها غيره من الأدباء؟ ومَن الناقد الذي رشحه لنيلها؟ لا شيء من ذلك..." (١)، فهو لا يرى هذا منهجًا في النقد أن يتم تقييم العمل دون الإشارة إلى مواطن الإجادة وعدمها إن في نقد مكتوب، وإن في نقد مسموع كما في المنتديات والصالونات الأدبية، فما أحوج المنتمين للأدب إلى ذلك النقد لتوجيه حركة الإبداع.

ويفيض الدكتور "بدران": "لقد خضت تجربة نقدية في أحد المنتديات الالكترونية مدة قاربت الشهور الأربعة، رأيت فيها بعين الناقد ظمأ شداة الأدب لقاعدة نقدية يلتفون حولها، ولناقد غيور يشير ويوضح، ويقوِّم ويوجه بعيدًا عن الشعارات المصورة التي تقنع الأنظار، وما زلت على ثقة من أن الجهاد حلال مع هذه الطائفة التي تمارس الأدب بحب جارف، دون ضابط من قواعده التي لم يقفوا عليها في وقت كان قصارى جهد القائمين على النقد أن ينبهوا على خطأ نحوي أو إملائي من جملة الأخطاء

---

١- "سحابة صيف" ص١٥.

التي يموج بها النص..." [١]

فمجرد التنبيه على الخطأ اللغوي -على الرغم من أهميته - منهجًا في النقد لا يصح أن يكون غاية في النقد، لاسيما حين تضم الصالونات الأدبية أدباء مبدعين ومجيدين يتطلعون من الناقد لحديث فني راق في قضايا تلمس فنهم بطريق مباشر مثل أسس النقد، ونظريات الإلهام، والتلقي، والتفاعل النصي، والاستلهام، والرمز والموسيقا، وغيرها من قضايا النقد والفن التي تنمي موهبتهم، وتوجه حركة الإبداع.

وفي إطار هذا التداعي لواقع الحركة النقدية رصد الدكتور "عبد الحميد بدران" عدة إشكاليات تحيط بهذا الواقع بين "شهوة النشر"، و"كراهية النقد"، و"استفزاز الناقد"، ولعل أولاها هي الأكثر خطرًا على الأدب حيث شهوة النشر والولع به قبل تنقيحه وتهذيبه، وخضوعه إلى قلم ناقد أو رأي أديب، "ومن ثم تكون كراهية النقد والناقد في آن معًا، إذا ما حاول أن يضع قلمه موجهًا أو مصوبًا، ومن ثم يكون استفزاز الناقد بما حصده النص المغضوب عليه من جوائز وهمية..." [٢]

---

١- سحابة صيف ص١٥ بعدها ، وأشْهد على واقعية هذا النقد الموجه للمنتديات والصالونات الأدبية لما مسني بشكل شخصي، فقد قرأته بعد سنوات من الانتماء لنادي الأدب المركزي لمحافظتي، ثم قيادة العمل في نادي أدب مدينتي في دورته التأسيسية، لأتلاقى أسبوعيًا ودوريًا مع أكثر من ثلاثين أديبًا وناقدًا نتعاطى الأدب والنقد، ومعهما نتعاطى هذا الهم المحيط بالوسط الأدبي والثقافي -والذي يشير إليه د. بدران- من مشكلات النشر والإثابة والتحفيز، والإعلام، والوصول للمتلقي فضلًا عن التأثير فيه ، وغيرها من المشكلات التي بدا بشكل واضح تأثيرها على جهة الفن وسمو أغراض الأدب ومقاصده ، ومن ثم جاءت وتأتي محاولاتنا الدائمة للارتفاع عليها، لتحقيق الهدف المنشود.

٢- " المصدر السابق " ص١٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وهو الخطر الذي حدا بالأديب الناقد أن يطيل النّفَس في نقد هذه الإشكالية، ومن ذلك قوله: "شهوة النشر شهوة مشروعة لكنها مشروطة بحيازة تراخيص ممن يملكون مهارة تقويم الفن، مشروطة باستواء الأديب على سوقه، وخضوعه لاختبارات حياتية وأدبية، شحذت فيها آلته، مشروطة بسرعة استجابته وتقديره لدور الناقد الجاد، مشروطة بتطويع نفسه على قبول جديد الآخر..." [(١)]، ثم راح الأديب الناقد يصدر حكمًا قاطعًا في نشر النص دون خضوعه لنقد جاد يقول: "تلك جناية واضحة على الأدب والأديب في آن معًا"، ولا يُفْهَم من هذا الحكم الناقد أن صاحبه يأذن لصاحب العمل بنشره بعد تحقق هذه الشروط، ذلك أنه يوصي الأديب بالتمهل وعدم نشر كل ما يكتب، يقول: "هناك تجارب جيدة وأخرى بين بين، فاختر منها ما يصلح أن يمثل صورتك في ذهن قرائك، وإياك وتعجل النشر قبل أن تنضج الموهبة حتى لا يطالك قول القائل:

يا شاريَ الصيت إن لم تُعطَ موهبةً ... من السماء فلن يعطيكها الناسُ
قصرُ الذكاء على التذييع آخره ... عقمٌ وعاقبة التبذير إفلاسُ..." [(٢)]

وفي "منهج تفسيري" للنقد يرى الدكتور "بدران" أن أكثر ما يؤدي إلى الزهد في النقد وكراهته هو فهم أيّ من الناقد أو الشاعر أن النقد يجيء

---

١- "سحابة صيف" ص١٨.

٢- المصدر السابق ص٣٩، والبيتان للشاعر القروي،من بحر البسيط. [مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي- أحمد قبش- ص٢٥٣- ط دار الرشيد- الثالثة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م]، وربما تجدر الإشارة هنا إلى تكرار عدم نسبة النص لقائله لدى د. عبد الحميد بدران في نقده وهو عمل إن صح له أديبًا فلا يصح له باحثًا وناقدًا؛ لما يتعارض مع أدائه حق الهامش وخدمات النصوص.

تلمسًا لأخطاء الشاعر تعريضًا به، أو يظن أحدهما أن توجيه الشعر ونقده يأتي لتقويم ضعاف الشعراء، ولا شك في أنه فهم خاطئ، فلطالما انتُقد كبار الشعراء على مرِّ التاريخ، ثم هو يستشهد في ذلك بما أورده "ابن سلام"، قوله: أنه لم يُقْوِ ( يقع في عيب الإقواء عروضيًا) أحد من شعراء الطبقة الأولى، ولا من أشباههم إلا النابغة في قصيدته: [١]

أمِـــنْ آلِ ميّـــةَ رائـــحٌ أو مغتـــدِ عجـــــلانَ ذا زادٍ وغـــــيرَ مُـــــزَوّدِ
زعـــمَ البـــوارحُ أنّ رحلتنـــا غـــدًا وبـــذاكَ خبَّرنـــا الغُـــدافُ الأســـودُ

فقد بدا واضحًا "الإقواء" باختلاف الإعراب في القافية بين الرفع والخفض، وعلى الرغم من ذلك لم يأبه النابغة لمنتقديه في ذلك حتى قدم المدينة، فأسمعوه إياه غناء بصوت جارية، فانتبه ولم يعد فيه، وقال: قدمت الحجاز وفي شعري صنعة ورحلت وأنا أشعر الناس. [٢]

ويلحق بذلك ما يقدمه الدكتور "عبد الحميد بدران" -في كتابه - نصحاً وإرشادًا للناقد الجاد: ألّا يستجيب لاستفزاز المتمردين على النقد من الشعراء، وأن "يظل واثق الخطى مهما ظن شانئوه أنهم سيعجزونه بعرض نصوصهم لنيل الأوسمة المصورة حتى لا يستطيع أن يستخرج أمارات ضعفهم، وهم في ذلك واهمون، وهو مقصر في الوقت ذاته؛ لأنه لم يسلك منهج التلطف في إسداء نقداته وتوجيه الأديب، متمثلًا بقوله تعالى على لسان المدافعين عن عقيدتهم: " وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾". [٣]

---

١- "ديوان النابغة الذبياني" – تقديم: عباس عبد الساتر- ص١٠٥- ط دار الكتب العلمية- الثالثة ١٤١٦هـ =١٩٩٦م، والبيتان من بحر الكامل.

٢- "سحابة صيف" ص٢٠، عن "الشعر والشعراء"- ابن قتيبة- تحقيق: أحمد محمد شاكر- ص١٨٩- ط دار الحديث- الثالثة ٢٠٠١م.

٣- من الآية (١٩)، سورة الكهف، وينظر: "سحابة صيف" ص٢١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وكذلك من جملة نقد المؤلف للصالونات الأدبية في زماننا كون "أكثرها يقوم على المجاملات والإطراء، وقلما يكون على رأسها قامة نقدية ترسخ مذهبًا أو تدعو إلى اتجاه أدبي... أجيال وأجيال من الشعراء لا يجمعهم اتجاه شعري يحظى بجماهيرية لافتة في غفوة من قلم الناقد الذي جرفه التيار، فهلل وصفق بيده، حتى أصاب قلمه الركود، وما زلنا في انتظار صالونات تضع الأسس والمناهج لتبني، وتنشئ جيلًا من الشعراء يحمل بصمتها ومنهجها، لا صالونات تنتخب الصفوة للعرض لا للتعلم..." (١)

ولعل أكثر ما يُسلِّم هذا النقد لصاحبه هو ما يرد من أخبار تؤرخ أدبيًا ونقديًا للصالونات الأدبية الكبرى في العصر الحديث مثل صالون "إسماعيل صبري، وصالون "العقاد"، وصالون "مي زيادة"، وصالون الطبيب الشاعر "إبراهيم ناجي وكان يعقده في عيادته بعد انتهاء العمل، تلك الأخبار التي تحكي عن حاضريها أن أصغرهم سنًا أو مقامًا كان بدرجة ناقد وأديب، كان الكبار يعرفون لهم حق الحضور والتلمذة والتعليم والاستماع والمشاركة، والدور الفاعل في الاتجاه الأدبي والثقافي للصالون.

وليس بعيدًا عن توجيه النقد للصالونات الأدبية ما وجهه الدكتور "عبدالحميد بدران" للمناقشات العلمية وأطرافها الثلاثة، الباحث والمشرف والمناقش، حين يرى أن المناقشات العلمية ليست تتويجًا احتفاليًا كما يلاحظ في كثير من المناقشات، ولكنها تغذية راجعة يفيد منها الباحث ويفيد أقرانه؛ لذا كان الإعلان فيها شرطًا جيدًا، وكذلك ليست المناقشة العلمية هي التي تقف على خطأ الطباعة، أو الإملاء، أو اللغة، أو تركيب الأسلوب، وإن كان

---

١- "سحابة صيف" ص١٤.

عليها فعل ذلك من باب مقاربة الكمال، لكن مهمتها العظمى: هي أن تستوثق هذه الحكومة العلمية من صلاحية الباحث للمضي قدمًا في طريق البحث العلمي، إذ ليس كل البشر مؤهلين للبحث الذي يعتمد على ضم القرائن وتحقيق الدرجة القصوى من الأمانة في النقل، والجسارة في تحقيق نتائج علمية جيدة. (١)

ومن نقد المؤلف للباحث حديثه عن اختفاء شخصيته في البحث حين يعتمد النقول دون أن يحسن توظيفها، ولم يعرف من غاية الرسالة العلمية إلا أن يحصل على لقب يقترن باسمه عند كل نداء، وما هكذا يكون الإشراف العلمي، ومن ثم يمنحه درجة "ناقل جدًا"(٢)، فربما كانت هذه هي الدجة التي تليق بهذا العمل.

وفي نقده للمناقشات العلمية على جميع مستوياتها وبمنهج نقدي توصيفي حدد الدكتور "بدران" غاية ما يطلب من الباحث في كل مرحلة علمية، يقول: "إن غاية ما نطلبه من باحث الماجستير أن يجيد التعامل مع مخطط بحثه، وهو الذي تصوره مسبقًا، وأن يجيد التعامل مع نصوصه المنقولة ويحسن توظيفها، بحيث تكون إما ممهدة لفكرة أو مؤكدة لها، وأن نطمئن إلى أمانته العلمية، وسلامة لغته وأسلوبه، وقدرته على استخلاص النتائج، فإن أفلح فنحن إذن أمام باحث يسير على الطريق، وإن قصَّر في جزئية قوِّم بحجم هذا التقصير دون أن ينال ذلك من تميزه..." (٣)، فلا يصح أن يحمل التقصير في جانب على التميز في جوانب أخرى، كما أن التقصير

---

١- "سحابة صيف" ص٣٩، ٤٠.

٢- المصدر السابق ص٤٠.

٣- المصدر نفسه ص٤١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

في هذه المرحلة أمر يتلاءم مع حداثة العهد بالبحث والتعاطي مع المواد العلمية.

أما غاية ما يُطلب من باحث الدكتوراة بحسب الدكتور بدران- فهو "أن نطمئن إلى رجاحة عقله، من خلال نزالاته البحثية التي يثيرها بحرفية ويسكنها بأريحية؛ ليثبت أنه قادر على هز المسَلَّمات والإتيان بكل جديد..."[١]

وهو منهج أعلى في النقد يحكم على رجاحة عقل الباحث وقدرته على الاستنباط والقياس والإسقاط، ويرصد شخصيته في البحث، وما يمتلك من أدوات تمكنه من الإتيان بجديد يليق بالمرحلة التي يهدف ليس فقط إلى تجاوزها وإنما يهدف فيها إلى تحصيل أكبر قدر من الفائدة قبل أن يتجاوزها، فهو كما يصنع بحثًا، يصنع البحثُ منه باحثًا.

ثم يفيض الدكتور "بدران" لتضم صورته الناقدة غاية ما يُطلب من الباحث الأكاديمي في درجة "أستاذ مساعد"، و"يكمن في الاطمئنان إلى كونه تخلص من أثارات المرحلة السابقة حين كان محاطًا بسياج من نصوص سابقيه، يمهد لها أو يعقب عليها، ولا يجهر بوجهة نظره إلا إذا ثبتت صحتها، فإن تخفف من اعتماده على من سبقه، سواء في اقتراح الموضوع أو معالجته، فنحن أمام باحث يستحق أن يكون إضافة يرتفع بها اسم جامعته..." [٢]، فهي درجة لا تحتاج لأن يتحلل المتقدم لها تحللا كاملا من ربقة نصوص الغير، ويكفيه -بحسب الدكتور بدران- أن يتخفف من درجة الالتزام بها إلى قدر من الاقتراح وإبداء الرأي ووجهات النظر.

---

١- "سحابة صيف" ص٤٢.

٢- المصدر السابق ص٤٣.

وقد بدا أن الأديب الناقد ادخر اشتراط كمال أدوات البحث والدرس لغاية ما يطلب من المتقدم للحصول على درجة "أستاذ"، فجعل "أقل ما يُقال عن جاهزيته إنه استشراف المستقبل، لغة وفكرًا وأداء وحضورًا ورقيًّا، فهو الذي فكر وقدَّر، وأجاد حيث قدَّر دون وصاية من هنا أو مجاملة من هناك..." [١]، ولا أقل من هذا فهي لمن أخذها بحقها العالِمية الحقيقية والدرجة العلمية الكبرى والمأمولة التي يرجى لصاحبها أن يكون إضافة لجامعته ووطنه وأمته، ومنوط به أن يسهم في تحقيق الآمال والمنجزات الكبار، وأن يحيا في المجتمع جديرًا بتحمل هذه الأمانة، ومؤديًا حقها المجتمعي ومتحملًا كل التبعات.

١-"سحابة صيف" ص٤٣.

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

٩٤٩٨

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

# المبحث الثالث

# النقد الموازن

## المبحث الثالث

## النقد الموازن

فطر الناس على حب المفاضلة بين الأشياء المتقاربة لاسيما تلك التي ترجع إلى أصل واحد، وتعد المفاضلة على سبيل النقد بين الآثار والشخصيات الأدبية مرحلة بدائية من مراحل التقويم الجمالي، تتلاءم مع هذه الفطرة السليمة التي نشأت من لدن وجود الأدب العربي شعرًا ونثرًا، ومن ثم كان من الطبعي أن نرصد النقد الموازن ضمن قسمات الوجه الناقد للدكتور "عبد الحميد بدران" في كتابه، فضلًا عن كون النقد ببيان المفارقة البينية منهجًا وأسلوبًا فنيًا لديه، حيث يتكرر في نقده تقديم الفكرة بن أمرين مع توضيح المفارقة بينهما، وربما أكثر ما يدل عليه تكراره للمفارقة بأسلوب الظرف المضاف (بين) ثلاث مرات في صفحة واحدة تحت عنوان "لماذا نكتب؟"، في الأولى يقول: "ينتاب شبح الكتابة كثيرًا من المهمومين بآمال النفس وآلامها، غير أن الهوة شاسعة بين من يجيد وصف الواقع مشدودًا بخيوط الأمل التي تشبه طوق النجاة لمن أدركه الغرق، وبين من يكتفي برسم طموحات ذات أجنحة، لا تجد لها مأوى إلا خياله المجنح وأحلامه الأسطورية"، وفي الثانية يقول: "تبقى الهوة واسعة بين من يجيد استقبال الوحي الكتابي وتذوقه، وبين من يجيد ذلك مع التعبير عن هذا التذوق بلغة تهذب النفس وتهدهد الخيال..."، وفي الثالثة يصف السائلين عن طريقة "الشاعر" ومنهجه في الكتابة "وهم في ذلك بين شاد يود أن يقتفي الأثر، ومعجب يريد أن يقف على أسباب العجب..." [١]

---

١- "سحابة صيف" ص٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقد بدا واضحًا في النصوص الثلاثة حرص الأديب الناقد على أسلوب المفارقة بالظرف "بين"، للتأكيد على تفرق المعنى بين أمرين أسهم أسلوب المفارقة في زيادة وضوح صورة الهوة بينهما وكأن ثقلًا سقط من شاهد ثم ارتد نائيًا، فما أجلى المفارقة لاسيما حين تتسع الهوة بين طرفي الموازنة كما في النصين الأولين.

وكذلك من النقد الموازن لدى المؤلف ما أورد من مفارقة بين مَن أسماهما "شاعر الموضوع"، و"شاعر الرؤية"، فشاعر الموضوع: "تستفزه المناسبة ويحمسه الجمهور، فيقول ويبدع، وقد يرضى في القصيدة عن الذي أنكره بالأمس، ومن يعْظُم شعرُه بعِظَم الموضوع الذي طرقه، أما شاعر الرؤية فهو ذلك الذي يخلق لنفسه مساحة من الانفعال في ذهن قارئه، بما يحدثه من تدفق رؤيته وموقفه الفكري أو النفسي في نسيج النص..." [١]، ولعل الموازنة واضحة بين الشاعرين –بحسب الأديب الناقد– وإن كنت لا أسلم بالمقابلة بين الطرفين فضلًا عن الموازنة بينهما، فما يمنع من أن يكون شاعر الموضوع صاحب رؤية ومساحة انفعال في ذهن المتلقي؟ كما أن شاعر الرؤية بهذا المعنى لاشك في أن موضوعًا قد يستدعيه ويحفزه، لكن تلك الموازنة بهذا المعنى ربما تسلم للناقد حين يعقدها بين شاعر الرؤية وشاعر المناسبة مثلًا، لما هو واضح بينهما من فارق يؤكده ما توجهه الحركة النقدية من اتهام لشعر المناسبات بضعف العاطفة وأثر الانفعال.

---

١- "سحابة صيف" ص١٠.

أما المنهج الموازن الأكثر بريقًا وخصوصية في نقد الدكتور "عبدالحميد بدران"، فهي تلك المفارقات التي وضحها في غير موضع من نتاجه النقدي بين "الرافعي والعقاد"، وإن جمع بينهما وسوَّى في كثير من جهات الفن، يقول: "لاشك أن ما صنعه "العقاد" في "الديوان" لا يصح أن يدخل في باب النقد بحال، فالنقد تمييز الجيد من الأجود من القول، وما وجدنا في الديوان إلا الغمز وإبراز المساوئ، وما قدَّمه الرافعي من نقد في "سفافيده" ينبغي إدراجه تحت هذا الإطار، فكلاهما بالغ في النيل من خصمه، وإن تعددت خصومة العقاد في الديوان، وتركزت خصومة الرافعي في "السفود"، ولو وضع أحدهما نفسه مكان مَن ينتقد لملأ الدنيا جلبة وضجيجًا، ولبدَّل سيئاته حسنات بوجه من ألف وجه، وقديمًا قيل (نقد الأقران لا يقدح)..." [١].

ولا أخفي أنني حين قرأت هذا وتذكرت قراءتي لما جاء عن العقاد في "الديوان" قفز في ذهني مشهد من قصة كتبتها من وَحْيِ عام انتُدِبْتُ فيه للتدريس بكلية جامعتنا في أسوان، شاهدتُ تمثال "العقاد" هناك في ميدان باسْمِه، ويحكي المشهد قصة حادث لسيارة ضلت طريقها فاصطدمت بالتمثال، فإذا السيارة تتحطم ويصاب راكبوها والتمثال باق على صورته وصلابته وشموخه، وكأن ذاكرة الأدب وعدسة التصوير حين سمحت للعقاد أن ينال من كل غيره –ممن هم في صنعته – لم تسمح لغيره أن ينال حتى من تمثاله.

---

١- "سحابة صيف" ص٥٥، و"نقد الأقران لا يقدح" أصلها: قاعدة أصولية لدى أهل الحديث، ونصها "قول الأقران يطوى" والمقصود إذا كانت بينهما منافسة. [ينظر: "سير أعلام النبلاء"- الإمام شمس الدين الذهبي-٤/٥٥٨- ط دار الفكر- بيروت دون تاريخ].

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وكذلك تذكرت ما وصفت به الدكتورة "نعمات أحمد فؤاد"، "الرافعي" من القسوة ليس فقط في نقده وإنما أيضًا في أدبه وفنه، وقد وَصَفَتْهُ بالصدور عن كبد حرة، وجلوس على جمر، حتى حين يُشبِّهُ طيف الحبيب فبالزلزال أو العاصفة. (١)

وربما تتلاقى هذه الذكريات مع ما كتبه الدكتور المؤلف في نقده الموازن بين الأديبين، وقد جاء أكثره لطريقتيهما في الكتابة، واختار منهجه النقدي أن يذكر هذا مجملًا ثم يتبعه بتفصيل، يقول: "والحق عندي وعند نقاد الأدب أن لكلا الرجلين طريقة في تدبيج مقاله وحشد أدلته، ومعالجة فكرته، وهذه الطريقة لا تخرج عن الأدب الجيد الذي يثقف القارئ ويلهب وجدانه، ويدفعه إلى البحث والمطالعة..." (٢).

فهو يسوي بين الأديبين في أدلة كل منهما وطريقة كتابته وأثر كل منهما في المتلقي، لكنه في تفصيل ذلك يذكر فروقًا فردية بين كل منهما مستعينًا بما اتفقت عليه حركة النقد الحديث من سماتها الفنية، ومن ذلك وصفه للرافعي بأنه "يهتم في المقام الأول بجمال الصياغة، وروعة الديباجة، لأن بيانه ليس ذلك البيان قريب التناول، يسير العناصر، وإنما هو بيان فيه بُعد وتركيب وجهد؛ حيث يجنح صاحبه إلى اعتصار المعاني، وتوليد الأفكار، ومزج الخواطر من خلال مجازات مركبة واستعارات بعيدة وكنايات خفية، فيأتي بيانه آخر الأمر أشبه بعملية تقطير لألوان من الزهور؛ لاستخلاص عطر مركب مركز، فيه جمال ولكن ليس فيه بساطة، وفيه فن لكنه فن

---

١- ينظر:" دراسة في أدب الرافعي"- د/ نعمات أحمد فؤاد- ص١١٧، ١١٦- ط دار الفكر العربي ١٩٥٥م.

٢- "سحابة صيف" ص٥٥.

المهارة التي تسيطر على الفطرة..." [١]، وقد أفاض الدكتور "بدران" في وصف طريقة "البيان المقطر"، وذكر ما اتفقت عليه حركة النقد الحديثة من خصائصها مثل استلهامها للمعجم القرآني، واستخدام البديع باقتصاد وفن[٢]، وغير ذلك مما يميز طريقة الكتابة عند "الرافعي".

وفي حسن تخلص، وبذات المنهج الموازن –والمتكئ على ما اتفقت عليه حركة النقد الحديث– ينتقل إلى عرض طريقة الكتابة لدى العقاد، ليراه يعمد إلى التعبير عما عنده بألفاظ وجمل محكمة، فيها الدقة وفيها القصد والتركيز ودسامة الزاد، قبل أن يكون فيها رونق الشكل، فلا إفراط في المقدمات، ولا لجوء إلى تكرار أو لف أو توكيد، وإنما المحل الأول لمنح أوفر معان وأغزر أفكار، وحسب الكلمة والعبارة أن تؤدي المعنى، وتنقل الخاطرة، وتفصح عن الشعور.[٣]

وقد عرفت هذه الطريقة للعقاد –في النقد الحديث– بطريقة "التعبير المحكم"، لميلها إلى التفصيلات المنطقية لا اللغوية، واعتماد المقابلات العقلية لا البديعة، جريًا وراء الإحكام، ورعايةً لدقة أداء المعاني[٤]، ولعل هذه هي أهم خصائص طريقة "التعبير المحكم" التي ربما عرفت بالعقاد أكثر مما عُرف العقاد بها.

---

١- سحابة صيف ، عن "تطور الأدب الحديث في مصر" – أحمد عبد المقصود هيكل– ص٣٨٨ – ط دار المعارف – السادسة ١٩٩٤م.

٢- ينظر: المصدر نفسه ص٥٦.

٣- ينظر: " المصدر السابق " ص٥٦، عن "تطور الأدب الحديث في مصر" ص٣٨٨.

٤- ينظر: المصدر السابق ص٥٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وفي نهاية نقده الموازن بين الأديبين قدَّم الدكتور "بدران" تقفية موجزة للموازنة بينهما تؤكد أن كليهما أديب إسلامي النزعة في مقالاته الأدبية، لكنها تجلي أوجه المفارقة بينهما في موقف كل منهما من قضية التجديد في الشعر، ثم رَأْيِ كل منهما في فن القصة، حيث الفارق الكبير بين مَنْ ينظر إلى الآتي من الغرب بعين الإعجاب –يعني العقاد–، ومن ينظر إليه بعين الريبة والشك –يعني الرافعي–، "وهما بين شاعر محافظ لم يجد لنفسه مكانًا في المنافسة على موقع شعري مميز فآثر الانسحاب من الحلبة"[١] – يعني الرافعي–، و"شاعر محافظ نظر بعين الإعجاب إلى ما اطلع عليه من آداب الغرب فأراد أن يجربه على أدبه العربي جملة واحدة، فسقط سقوطًا آمنًا دون أن يحدث أثرًا"[٢]، –يعني العقاد–، وبعيدًا عن سلامة هذا الرأي النقدي لصاحبه أو عدمها لا أرى وصف العقاد بشاعر محافظ موفقًا لما يتعارض مع ما اتفقت عليه حركة النقد الحديثة من وصفه بالشاعر المجدد، وإلحاق هذا الوصف بمدرسته.

كما رصد الدكتور "بدران" المفارقة بين الأديبين في كتابة فن القصة حين رآهما: "بين روائي أراد أن يسهم في الفن الجديد فكان عمله أقرب إلى أعمال الريادة منه إلى أعمال التميز، (وهو الرافعي)، وقاص لم يستطع أن يكتب القصة بآليات القصة فآثر أن يُطعِّمَ فنه (المقالي) بما يملك من تقنياتها، فجاء فنًا بديعًا يشار إليه بالبنان (وهو العقاد)..." [٣].

---

١- سحابة صيف ص٥٨.

٢- المصدر نفسه .

٣- المصدر نفسه .

ذلك أن هذه الرؤية بهذا التفسير يؤيدها ما جاء عن "الرافعي" في إجابته عن السؤال: لماذا لم تكتب القصة؟، قوله: "لم أكتب فيها إلا قليلًا إذا اعتمدنا الطريقة الكتابية المصطلح على تسميتها بهذا الاسم، لكن لا أراني وضعت كل كتبي ومقالاتي إلا في قصة بعينها، هي قصة العقل الذي في رأسي، وهذا القلب بين جنبي. (١)

كذلك ربما تتلاءم هذه الرؤية النقدية للمؤلف مع ما جاء عن العقاد من عزوف عن كتابة فن القصة وتفضيل الشعر عليها لأنها في رأيه ليست بأفضل الثمرات التي تثمرها القريحة الفنية، وصفحات الشعر أوفر وأغنى..." (٢)

لكن النصفة تقتضي القول: إن العقاد لم يصرح بهذا الرأي ليبطل فنية القصة أو يحرم الكتابة فيها، أو لينفي أنها عمل قيِّم يُحسب للأديب إذا أجاد فيه، لكنه كتب هذا ليستزيد من الإقبال على دواوين الشعر ويحث على كتابته، لكن نجيب محفوظ يرى أن هذا الرأي للعقاد ومهاجمته لفن القصة كان في مناخ إمارة وهمية للشعر زعموها آلت للعقاد بعد وفاة "شوقي"(٣)، فهو -بحسب "نجيب محفوظ"- رأْيٌ موجَّه غير موضوعي أو محايد، وعلى هذا – وبرفع النظر عن الخلاف- يأتي واضحًا تلاؤم هذا الرأي للعقاد مع

---

١- مجلة "الرسالة" -العدد ٤٠ بتاريخ ١٩٣٤/٤/٩- بعنوان "فلسفة القصة".

٢- جريدة "القبس نيوز" بعنوان: المعركة المنسية بين العقاد ونجيب محفوظ -عدد ٢٠٠٦/١/٧م، موقع: المعركة المنسية بين العقاد ونجيب محفوظ -عدد ٢٠٠٦/١/٧م، موقع: alqabas.com.

٣- جريدة "القبس نيوز" بعنوان: المعركة المنسية بين العقاد ونجيب محفوظ -عدد ٢٠٠٦/١/٧م، موقع: المعركة المنسية بين العقاد ونجيب محفوظ -عدد ٢٠٠٦/١/٧م، موقع: alqabas.com.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

رؤية الدكتور "عبد الحميد بدران" للموازنة بينه وبين "الرافعي" في كتابة فن القصة.

وكذلك يأتي من النقد الموازن في كتاب "سحابة صيف" ما جاء في غير موضع عن المفارقة بين الشعر العمودي والشعر الحر، وقد عمد المؤلف إلى تفصيل ذلك في إطار دعمه لشعر التفعيلة وتأكيد عزو الجودة والمحك فيه للشعور والذوق ونشدان الجمال، فهو يعرض لمشهد الخليفة الناقد "عبدالملك بن مروان" لمَّا أنشده "الراعي النميري"قصيدته حتى إذا بلغ قوله:

أخليفةَ الرحمن إنَّا معشرٌ حنفاءُ، نسجد بكرة وأصيلا
عربٌ، نرى لله في أموالنا حقَّ الزكاة منزلا تنزيلا

قال له عبد الملك: ليس هذا شعرًا، هذا شرح إسلام وقراءة آية"[١]

ويعقب الدكتور "عبدالحميد بدران"-ناقدًا-: "ومن ثم يأتي الخطأ حين يُظن أن ما يسمى بشعر التفعيلة أو (الشعر الحر) لا يخضع لضابط، ولا تحكمه قوانين، لأن الفرق الجوهري بين الشعر العمودي والشعر الحر يكمن في الالتزام بعدد التفعيلات في السطر الشعري، فإذا التزم الشاعر بالتفعيلة وعددها في الشطر من البيت فقصيدته عمودية، وإذا التزم بالتفعيلة دون عددها في سطره فقصيدته من الشعر الحر..." [٢].

فهو يؤيد الشعر الحر ملتزم التفعيلة دون النظر للشكل العمودي، كما أنه أكدَّ ذلك بطريق تطبيقي حين نظم على غير الشكل العمودي.

---

١- "سحابة صيف" ص٢٤، عن "الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء"- المرزباني - ص٢١٠ -ط دار الكتب العلمية- الأولي ١٤١٥هـ =١٩٩٥م، والبيتان من الكامل.
٢- "المصدر السابق " ص٢٤.

وفي الموازنة بينهما من حيث القافية يقول: "إذا كانت القافية شرط أساس في القصيدة العمودية -مع إمكانية تنويعها بالطبع في المزدوج وشعر المربعات والمخمسات والموشحات وغيرها من الأصناف الشعرية- فإن القصيدة الحرة يلتزم صاحبها قوافي تطل بين الحين والحين، وهو ما نسميه بالقافية الرئيسة، ثم هناك قواف داخلية يعمد الشاعر إلى تغييرها حسب حالته الشعورية لإضفاء لون من التطريب على سطره الشعري حسبما تمليه الدفقة الشعورية..."، وربما يأتي هذا القول للأديب ليس تأكيدًا على المفارقة بين الشعر العمودي، والحر، بقدر ما هو تأكيد على خطأ من يظن أن الشعر الحر لا يخضع لضابط ولا تحكمه قوانين موسيقية، علمًا بأن الإلمام بعلم العروض وحده لا يصنع شاعرًا، فعلاقة الشاعر بالعروض - بحسب الدكتور "بدران"- علاقة تهذيبية؛ لأن العروض مقاييس نلجأ إليها لتحديد نوع النشاذ الذي وقع فيه الشاعر، وكثير من شعراء العربية الكبار لم يكونوا على دراية بهذا الفن، وليس ثمة ما يدعو للعجب، فالشاعر يبدأ راوية يحفظ الأشعار، ثم يجري الشعر على لسانه طيعًا بعد ذلك، ويستشهد الدكتور "بدران" على ذلك بقول ابن رشيق: "والمطبوع مستغن بطبعه عن معرفة الأوزان وأسمائها وعللها لنبو ذوقه عن المزاحف منها والمستكره، والضعيف الطبع محتاج إلى معرفة شيء من ذلك، يعينه على ما يحاوله من هذا الشأن..." [1]، على أن إجادة علم العروض حتى للمطبوعين من الشعراء ليس فقط تعفي من مظنة الخطأ وإنما أيضًا تبدو أهميتها حين تغري بأفانين القول، وتفتح مغاليق الموسيقى وتدعو للطمأنينة والثقة في تنويع أنماط التوقيع الموسيقي وطرْق ظواهر التنغيم وأساليب الفن.

---

١- "العمدة" -أبو الحسن بن رشيق القيرواني- تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد- ١/١٣٤- دار الجيل- الخامسة١٤٠١هـ -١٩٨١م.

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

٩٥٠٨

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

# المبحث الرابع

# نقد فكرة الإلهام وطُرُق الكتابة

## المبحث الرابع
## نقد فكرة الإلهام وطُرُق الكتابة

الإلهام وطريقة كتابة الأدب حديث لا أظنه قد غاب عن ناقد لأي من الآداب العالمية، حيث محاولة تفسير عملية الإبداع .

والمعنى المعجمي على أنَّ الإلهام: هو "ما يُلْقَى في الروع، أو أن يُلْقِي الله في النفس أمرًا يبعث على الفعل أو الترك"[١]، وهو يخص الموهبة والحالة المزاجية للأديب، ولأي مدى يمكن أن تخضع عملية إبداعه للمنطق والواقع، وإلى أي مدى تقترب من دعم الخيال، وحديث الإلهام لا يختلف ناقد على حضوره بقوة على طاولة الحراك النقدي بين رصد ماهية دوره وتأكيده وبين التقليل من دوره في عملية الإبداع أو حتى إنكاره، كما أنه حديث يأتي في الغالب مصاحبًا للحديث عن طرق الكتابة وامتلاك الموهبة وأدوات الفن، وهي الموضوعات التي أطال الدكتور "عبد الحميد بدران" النفس في حديثه عنها وجاءت في غير موضع من مقالاته الناقدة، وكذا في إشارات واضحة تخللت أشعاره.

ومن عتبات نقده في ذلك يأتي عنوانه (لماذا نكتب؟)، ومما جاء تحته قوله: "ينتاب شبح الكتابة كثيرًا من المهمومين بآمال النفس وآلامها، غير أن الهوة تبقى شاسعة بين من يجيد وصف الواقع مشدودًا بخيوط الأمل التي تشبه طوق النجاة لمن أدركه الغرق، وبين من يكتفي برسم طموحات ذات أجنحة، لا تجد لها مأوى إلا خياله المجنح وأحلامه الأسطورية..." [٢]

---

١- "لسان العرب"- ابن منظور المصري- ١٧٥/١١ - ط دار المعارف بمصر - دون تاريخ.
٢- "سحابة صيف" ص٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بهذه البينية وهذا النقد الموازن تتجلى المفارقة بين مَن يأتي أدبه مصورًا لحياته وواقع مجتمعه وبين من يأتي أدبه مرتهنًا بجنوح عالم الخيال، ولاشك في سلامة هذا القول لصاحبه مطيةً وتمهيدًا لحديث أكثر جلاء عن فكرة الإلهام، يقول الأديب: "لكم صرَّح أدباؤنا بعظم المشقة، وفرط الشقة أثناء تنزل الإبداع الفوقي على الأديب، على الرغم من كامل التخطيط لهذا العمل، وانتظار تنزله الفينة بعد الفينة مثلما تنتظر الحامل مخاض الوضع..."(١).

فلعلها إشارة واضحة إلى إسناد الشعراء قدرًا من عملية الإبداع إلى قوى غيبية علوية أو سفلية، فيما يسمى بلحظة الوحي، وما تضفيه عليها الأمم من ألوان التقديس، بين من يرى للفن ربَّات يلهمن الإبداع وهم الإغريق، ومن يرى لكل شاعر قرين يمده، ومن الجن شعراء شياطين يسكنون "وادي عبقر"، ويتحكمون في لحظات خلق الإبداع، وهو المعتقد العربي، وحين يشير الدكتور "بدران إلى هذه المعتقدات يُعَقِّب: "وحسمنا نحن أمر الخلق الشعري حين حكمنا بأن الجمهور كثيرًا ما يكون سببًا في شطط الشاعر، إذا ما أعطاهم الشاعر أذنه، يصفقون فينتشي، ويقولون فينحني، وساعتها يتجرد من رسالته السامية، وما أدراك ماهيه..." (٢).

فهو يرد عملية الإبداع إلى أثر الانفعال بردة فعل المتلقي، وعمل منشئ النص على استمالته، وجلب رضاه، وربما لا يسلم هذا الرأي للناقد الأديب لما يطعن في سمو رسالة الأدب، ولأن حال المتلقي حين نجد له تأثيرا في منشئ النص حالة الارتجال، فليس بالضرورة أن نجد له هذا

---

١- "سحابة صيف" ص٥.

٢- المصدر السابق ص١٠.

التأثير حين يخلو الأديب إلى قلمه بعيدًا عن المتلقين، وإذا كان من تأثير حقيقي للمتلقي فليس في عملية الخلق الشعري بقدر ما هو في عملية اختيار الموضوع وتوجُّه حركة الإبداع.

أما عن طريقة النظم والخلق الشعري لدى الدكتور "عبد الحميد بدران" فلعلها هي تلك الطريقة التي قدمها –في ضوء رؤيته الناقدة لفكرة الإلهام– سبيلًا معينًا للشاعر أن يحاولها لاسيما في طور النشوء حتى تستقيم له طريقة تميزه، يقول: "ومن ثمَّ أرى أن الشاعر المبتدئ عليه أن يحفظ مجموعة من الأبيات التي تنتمي إلى بحر واحد، يجد في نفسه دافعًا للكتابة عليه، وحبذا لو بدأ بمجزوء البحور، ولا ينتقل إلى بحر جديد إلا بعد أن تستوي النغمة القديمة في أذنه، ويكتب عليها مجموعة من القصائد أو المنظومات، لأن هذا يساعد على استقرارها الموسيقي في أذنه، وكلما كتب شطرة استعاد نغمة البيت الذي حفظه، ووازن بينها وبين ما كتب، عندها سيصوب الخطأ من تلقاء نفسه، ويكون قد أخضع نفسه لتقويم ذاتي، يمارس فيه دور المبدع والناقد في آن معًا..." [١].

ويلحق بهذه الطريقة للخلق الشعري لدى المؤلف ما ذكره فيما يشبه الوصية لمن قصد كتابة الشعر، حين رأى خيرًا له ألا يخط حرفًا حتى يرى في نفسه القدرة على النظم في سرعة وسلاسة حتى لا ينقطع الإلهام في أعتاب انشغاله باستكمال موسيقا النظم أثناء الكتابة[٢]، وهو منهج في النقد ربما يكون أكثر تأييدا للطبع؛ لما يراه الناقد الأديب تتابعًا لعملية الإلهام

---

١- "سحابة صيف" ص٢٦.

٢- ينظر: المصدر السابق ص٣٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والوحي أثناء الكتابة، وعشقًا للقصيدة إلى حد أن تلهم صاحبَها الحروفُ، يقول فيما يوحى شعرًا بطريقة كتابته، ومد أدبه لنقده: (١)

وأنثر في ربوع الكون شعرًا ... يُعتِّق بوح فحواه الوجودُ
فبيني والقصيدة فرط عشق ... له من حرَ لفحتها وعودَ
تسير بي الحروفَ مسير صَب ... ويدفعني لمأواها الوريد
لأبقى في البحور أخطَ دربي ... طموحًا ليس يجمحُه الصدودَ
وأحيا عاشقًا من طهر عشق ... يهدهده بما يهوى القصيدَ

ولعل هذه الحروف التي تسير به مسير الصبِّ المستهام بالشعر هي ذات الحروف التي تذوب في فكره وتأوي إليه ليسطرها، في قوله: (٢)

يا شعر أنت غرام بتُّ أعشقهُ ... يُذَوِّبُ الحرفَ في فكري ووجداني
تأوي إلىَ مساءات أسطرها ... في راحتيك وأغفو بين أحزاني

ويقفِّي الدكتور "بدران" هذه الطريقة في الخلق الشعري بمنهج نقدي ناصح ومرشد، يطلب فيه إلى الشاعر أن يُعدَّ مجموعة من القوافي التي توافق قافيته؛ لتكون عونًا له في إتمام عمله إذا أعياه طلب قافيته في بيت ما، وهي الخطوة المصنوعة والنوعية في طريقة الخلق الشعري التي – بحسب الدكتور بدران– لم ينص النقاد القدامى على كونها خطوة تالية لمجيء المطلع المطبوع، فهو يورد في ذلك قول ابن طباطبا في "عيار الشعر": "إذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر

١– من قصيدته "على متن القصيد"– ديوانه "فصل السكون" – ص٧٣، والأبيات من الكامل.
٢–ديوانه "فصل السكون" ص١٠٦، والبيتان من البسيط.

عليه في فِكْرِه نثرًا، وأعدَّ له ما يُلبِسُهُ إيَّاه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي سلس له القول عليه، فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه أثبته..." [١].

وفيما يشبه النقد التأصيلي يفيض المؤلف في عرض طريقة الكتابة والخلق الشعري كما يراها النقاد القدامى، ومن ذلك قول أبي هلال العسكري: "إذا أردت أن تعمل شعرًا فأحضر المعاني التي تريد نظمها في فكرك، وأخطرها على قلبك، واطلب لها وزنًا يتأتى فيه إيرادها، وقافية يحتملها، فمن المعاني ما تتمكن من نظمه في قافية ولا تتمكن منه في أخرى، أو تكون في هذه أقرب طريقًا وأيسر كلفة من تلك..." [٢]، وهي خطوات إلى الشعر، ربما أراد الدكتور "بدران" للشاعر أن يكون بها أكثر ثراء لغويًا وبُعدًا بقوافيه عن عيب (الاستدعاء)، وإذا كان فاستدعاء البيت للقافية أولى من استدعاء القافية له.

ولعل من هذا التأصيل كذلك ما أورد الدكتور "بدران" عن "ابن خلدون"، من شروط صناعة الشعر وإحكامه، قوله: "اعلم أنَّ لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطًا: أولها الحفظ من جنسه أي من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها ويتخير المحفوظ من الحر النقي الكثير الأساليب، ومن كان خاليًا من المحفوظ فنظمه قاصر ردئ .... واجتناب الشعر أولى لمن لم يكن له محفوظ، ثم بعد الامتلاء من الحفظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال يقبل على النظم، وبالإكثار منه تستحكم

---

١- "سحابة صيف" ص٢٧، نقلا عن "عيار الشعر"- محمد بن أحمد بن طباطبا- تحقيق: عبدالعزيز بن ناصر المانع -ص٧- ط مكتبة الخانجي – مصر- دون تاريخ.

٢- "المصدر السابق" ص٢٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ملكته وترسخ، وربما يقال: إن من شرطه نسيان ذلك المحفوظ لتمحي رسومه الحرفية الظاهرة، فإذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتقش الأسلوب فيها كأنه منوال يؤخذ بالنسج عليه..." (١)

وربما يصح حديث "ابن خلدون" عن الحفظ ثم النسيان وأثرهما في إحكام صناعة الشعر مطية للانتقال إلى عرْضِ المؤلف لنقد طُرق الكتابة لدى كتاب العصر الحديث لاسيما "مصطفى لطفي المنفلوطي حين أوصى الكاتب المبتدئ بالحفظ والنسيان مع عدم العمد إلى التقليد، يقول: "يسألني: كثير من الناس كيف أكتب رسائلي؟ كأنما يريدون أن يعرفوا الطريق التي أسلكها إليها فيسلكوا معي، وخير لهم ألَّا يفعلوا، فإني لا أحب لهم ولا لأحد من الشادين في الأدب أن يكونوا مقيدين في الكتابة بطريقتي أو طريقة أحد من الكتاب غيري، وليعلموا أني ما استطعت أن أكتب تلك الرسائل إلا لأني استطعت التفلت من قيود التمثُّل والاحتذاء، وما نفعني في ذلك شيء ما نفعني ضعف ذاكرتي..."(٢)

ويبدو أن ما تلاقى فيه المنفلوطي مع ابن خلدون من الدعوة إلى "الحفظ والنسيان" طريقة للكتابة صادف هوى الدكتور بدران، وجاء الطريقة المعتمدة لديه في بداية نظمه، ففي رسالة بلسان ابنه حين يرجوه ويصوره كاتبًا في بداية الطريق يخاطب أباه، يقول: "وما زلتَ تلحُّ عليَّ في أن أحفظ

---

١- "ابن الكاتب" ص٣٣، عن "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"- ابن خلدون الحضرمي- تحقيق: خليل شحادة-ص٧٩٠- ط دار الفكر العربي- بيروت- الثانية ١٩٨٨م.

٢- "سحابة صيف" ص٣٥، عن "النظرات"- مصطفى لطفي المنفلوطي"- ٣/١- ط دار الآفاق الجديدة ١٤٠٢هـ =١٩٨٢م.

وأنسى كما أوصى ابن خلدون، وما زلتُ أنا في شغف لرؤية كل ما نسيته أدبًا على صفحات بياني، لعلي وقتها أفكر أين قرأته؟ ومتى قرأته؟ وما الذي يعجبني فيه ساعة طالعته؟ ..." [١].

وكذلك في عرضه لطرق الكتابة لدى كتاب العصر الحديث يعرض الأديب الناقد لقول العقاد: "أما طريقتي في الكتابة: فإني أبدأ بالمقال وفي ذهني جميع أصوله، مرتبة على الجملة حسب التسلسل المنطقي، ولكنني إذا مضيت في الكتابة عرضَت لي حاشية من هنا، أو لمحة من هناك تطرأ في عرض الكلام، ولا تغير شيئًا من جوهر المقال إلا أن تزيده جلاء في بعض الأحيان أو تضيف إليه عنصر الفكاهة والتبسيط..." [٢].

أما طريقة الكتابة لدى الرافعي فقد أعرب عنها في قوله: "ومن عادتي في كتابة هذه الفصول التي تنشرها (الرسالة)، أن أدع الفصل منها تقلبه الخواطر في ذهني أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس، وأترك أمره للقوة التي في نفسي، فتتولد المعاني من كل ما أرى وما أقرأ، وتنثال من هنا وههنا، ويكون الكلام كأنه شيء حي أُريد له الوجود فوجد ..." [٣].

فـ"العقاد" -بحسب الرؤية الناقدة للدكتور "بدران"- حين يكتب يخطط مسبقًا ثم يستسلم للخواطر التي تأتي ساعة الكتابة، أما "الرافعي": فيعتمد عمق الفكرة ثم يحشد ما يدعمها ويمنحها قدرًا من التنقيح، وربما بهذه

---

١- "ابن الكاتب" ص٣٣، ٣٤.

٢- "سحابة صيف" ص٣٥، عن "أنا"- العقاد- ص٧٦-ط مكتبة نهضة مصر- الثالثة- ٢٠٠٥م.

٣- المصدر السابق ص٣٦، عن "وحي القلم" - الرافعي- ٢/ ١٦٧- مقالة "دعابة إبليس"- ط دار الكتب العلمية- الأولى عام ٢٠٠٠م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الرؤية يكون العقاد أقرب إلى الطبع حين يغلب على صناعته بينما "الرافعي" أميل إلى الصناعة عن طبعه.

وربما يجدر تقفية الحديث عن تلك السبل التي أوردها الدكتور "عبد الحميد بدران" للكتابة لدى بعض كتاب العصر الحديث بما يسطره من حديث عن طريقته الشخصية في الكتابة والتي يسجلها قوله: "إنني حين أكتب لا أفكر فيما أكتب، ولا أعني أشخاصًا بذواتهم، وإنما يغلبني إحساس أشبه بضيق الصدر وليس به، وصمت أشبه بالوحي وليس به، فما هو إلا أن أمسك القلم لأسجل الإحساس به في أي صورة ما شاء أن يركب، لكنها العاطفة الجارفة التي تأبى إلا أن تلازمني، فحبي ليس له حدود، وخيالي موغل في بساطة النشأة، ونقاء الفطرة، وبغضي موجة بحر لابد لها أن ترتطم بالقلم ثم أصفو بعدها كالطفل الصغير..." [١].

إذ يسطر المؤلف هذه الرؤية في طريقة الكتابة الفنية، فإنها تأتي مصورة رأيه في فكرة الإلهام التي تركزت لديه فيما يعتريه لحظة الكتابة من الصمت، وضيق الصدر، والعاطفة القوية إلى حد الانفعال، أحاسيس ثلاثة تجتمع لتحرك قلمه النابض فينحت شخصياته، ويسجل ما يدور حولها في خاطره ووجدانه.

وربما لا قيمة لهذه الثلاثة دون موهبة إبداعية تمدها وتدعمها لخلق العمل الأدبي، وعلى ذلك تلاقت قناعة الدكتور "عبد الحميد بدران مع الحركة النقدية التي تعرف حق الموهبة وتجعل من المراس والدربة أساسًا لتنميتها "لأن الموهبة عشرها إلهام، وتسعة أعشارها جهد وتعب، ومن ثم يحتاج

---

١- "سحابة صيف" ص٧.

الموهوب إلى معلمين يبتعدون عن أسلوب التلقين، ويركزون على الابتكار والتميز، فالمعلِّم ليس بمادته فحسب، وإنما يُعلِّم بطريقته وأسلوبه وشخصيته..." [١]

وفي ضوء ذلك –وبأداة المنهج النقدي المفارق– يباين الدكتور "بدران" بين ثلاثة بقدر ما بينهم من أرحام بينهم فوارق، هم: الموهوب، والمبدع، والمتفوق، فالموهوب قد لا يكون متفوقًا، والمبدع كذلك، وفي المقابل ليس بالضرورة أن يصير المتفوق موهوبًا أو مبدعًا، ويستشهد في ذلك بكل من "الرافعي" و"العقاد" حين لم يحققا في التعليم النظامي إلا الابتدائية، ثم "المنفلوطي" وقد عُرف بالترجمة والاقتباس من الأدب الغربي، وهو لم يدرس من اللغات سوى العربية.

ولا نعرف إن كان قدَرًا أم عمدًا أن يأتي الرقم ثلاثة هو كلمة السر في الرؤية الناقدة لفكرة الإلهام وطرق الكتابة لدى الدكتور المؤلف، حيث ترصد الدراسة عرضه لهذه الطرق لدى ثلاثة من أعلام النقد القديم هم "ابن طباطبا، وأبوهلال العسكري، وابن خلدون"، ثم لثلاثة من المحدثين، هم: "الرافعي، والعقاد والمنفلوطي"، كما أنه ركزَّ رأيه في فكرة إلهام الكتابة في أحاسيس ثلاثة: الصمت، وضيق الصدر، والعاطفة القوية، ثم هو يفرق بين قيم ثلاثة، هي : الموهبة، والإبداع، والتفوق، وربما يضاف لهذه (الثلاثيات) حديث ما يسميه الدكتور "بدران" "التخطيط الجيد"، ويعني به ما يلائم الكتابة من روية وتمهل، ومداومة تفكير ونظر، من أجل تنظيم الأفكار بعد بلورتها، وتماسكها وانسجامها في ذهن القارئ.[٢]

---

١- سحابة صيف ص٣٣.

٢- " المصدر السابق " ص٣٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وجدير بأن يلحق بحديث الوحي والإلهام، وطرق الكتابة ما يوصي به الناقد الأديب من اختيار الموضوع الملائم لطريقة كتابة صاحبه مستشهدًا في ذلك بقول "أبي هلال العسكري": "إن الإنسان إذا أراد مدح نفسه فأنشأ في ذلك رسالة أو عمل خطبة جاء في غاية القبح، وإن عمل في ذلك أبياتًا من الشعر احتمل، ومن ذلك أن صاحب الرياسة والأبهة لو خطب بذكر عشيق له، ووصف وجده به وحنينه إليه وشهرته في حبه، وبكاءه من أجله لاستهجن منه ذلك، وتنقص به فيه، ولو قال في ذلك شعرًا لكان حسنًا..."[١]، فليس مقصود الأديب الناقد فقط قضية شرف الموضوعات وتفاهتها وإنما أيضًا ملاءمتها لطريقة كتابة صاحبها وتماهيها مع لحظة وحيه وإلهامه.

وبمنهج أكثر خصوصية في النقد الفني، وأكثر استيعابًا وشمولية لأوان الأدب، وبأسلوب بدت فيه علامات الخبرة وإحكام النقد حين يمده الأدب وتدفعه تجارب الفن يقفي الدكتور "بدران" رؤيته الناقدة لطرق الكتابة وقضية الوحي والإلهام بما يشبه الوصايا الموجزة لطلاب الأدب وكتَّاب الفن لاسيما مَن هم في طور البداية نحو كتابة فنون أربعة "القصة، والخاطرة، والرسائل، واليوميات، ثم الشعر، يقول في أولها: "من أراد "القصة" فإن كتابتها تحتاج إلى قدرة على تحريك الشخوص للوصول إلى العقدة وحلها، وهذا لا يتم إلا بالخبرة والمران، والقراءة النقدية، والمناقشة الجادة، ومن قبل ذلك الخيال الخصيب الذي يربط بين هذه الأدوات في إطار من التشويق

---

١- " سحابة صيف " ص٢٨، نقلا عن "الصناعتين"- أبو هلال العسكري- تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم- ص١٢٩-ط المكتبة العصرية- بيروت ١٩١٩م.

والدهشة..." [١]، وهو منهج فني في النقد، متوجه نحو تحقق عناصر البناء القصصي وأدوات بنائه، لاسيما "الحبكة "الدرامية، وهو العنصر الذي يعز إحكامه على كثير من الكتاب قبل اكتمال ملكة الإبداع.

في ثانيهما يقول: "ومن أراد "الخاطرة" فعليه الموازنة بين الخيال والمضمون، بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر، ثم كتابة خاطرته بعيدًا عن التكرار في الأسلوب أو الأفكار، بحيث تكون صدى لما يشعر به ..."[٢]، فهو منهج المقاربة بين جماع دواعي الجمال، حين يأتي تصوير الواقع بدعم من الخيال.

وفي منحى نقدي نحو المنهج النفسي واعتبار البواعث والمحفزات وأثرها في طرق الكتابة، يقول في ثالثها: "ومن أراد "الرسائل" فعليه أن يغمض عينيه ويتخيل المرسل إليه، وهو يقرأ، ويعيش اللحظة بكل قوتها، ثم يقرأ ما كتبه متخيلًا ردود فعل قارئها حتى يُنقح ما ينشز منها..." [٣].

أما رابعها: وهو فن كتابة "اليوميات" ففيه يقول: "ومن أراد كتابة المذكرات واليوميات فعليه أن يركز على الإمتاع من خلال عرض الطرائف بأسلوب مشوق، يمكن القارئ من أن يعيش اللحظة التي عاشها الكاتب..."[٤]، وهو منهج يتوجه فيه صاحبه نحو اعتبار حال المتلقي، والنظر إلى ثمرات كتابة الأدب وأهدافه حيث المؤانسة، والإمتاع والتشويق، وما يحصل لدى المتلقي من فائدة.

---

١- "سحابة صيف" ص٣٨.

٢- المصدر السابق.

٣- المصدر نفسه .

٤- المصدر نفسه .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

واختار المؤلف أن يختم تلك الوصايا، وحديثه عن طرق الكتابة ونظرية الوحي والإلهام لدى الشاعر المبتدئ يقول: "إذا أراد الشعر فخير له ألا يخط حرفًا حتى يرى في نفسه القدرة على النظم في سرعة وسلاسة فلا ينقطع الإلهام..."[١].

وقد عدَّ الأديب الناقد (السجال) طريقة مثلى لتجربة الكتابة، ذلك أن الناس جبلوا على حبِّ التنافس والمقارنة مما يكون دافعًا لإثبات ذات الشاعر، فقد "عرف العرب أنواعا من السجال الشعري تحت مسميات متعددة كالإجازة وغيرها، لكنه لا يخرج عن صورتين، يكتب الشاعر في الأولى شطرًا يكمله الثاني، ليكوِّن الشطران معًا بيتًا مستقيم المعنى، أو يكتب الشاعر الأول بيتًا أو أبيات، ثم يجيب الآخر، وقد يبدأ بالصورة الأولى وينتهي بالثانية، وهي طريقة جيدة لشحذ الهمة وإثارة القريحة..."[٢] ولعله في ذلك يقترب في النقد من المنهج النفسي للنقد حيث يبحث في البواعث والمحفزات، ودواعي التأثير والتأثر من خارج ذات الشاعر.

والحق ربما تأتي هذه الوصية للشاعر المبتدئ -هي الأكثر دلالة على المنهج النقدي حين يمده قلب أديب خبر الشعر وتمكن من أدواته وفنونه، ذلك أن قارئ شعر الدكتور "عبد الحميد بدران" يلحظ في جلاء تأثر نقده الواضح بأشعاره وأشعار سابقيه في صور كثيرة للاستلهام والتفاعل النصي إن بطريق "السجال والمعارضة" مثل قصيدتيه "قال عمرو بن كلثوم"[٣]،

---

١- "سحابة صيف" ص٣٨.

٢- المصدر نفسه ص٣٠.

٣- "ديوان شاطئ السلوان" ص٧٩- ط دار النابغة للنشر والتوزيع- الأولى١٤٣٨هـ=٢٠١٧م.

و"عيد المتنبي"[١] مع الشعر القديم، وقصائده: "قولي أحبك"[٢]، و"في ليلة التنفيذ"[٣]، و"بلاد العرب"[٤] مع الشعر الحديث، وإن بطرق أخرى مثل قصائده: "من آخر كلمات المتنبي"[٥]، و"قفا نبك"[٦]، و"رسالة الغفران"[٧]، و"قال مهلهل ربيعة"[٨]، و"قالت جليلة"[٩]، وغيرها مما يستلهم فيه الشاعر شعر سابقيه في تفاعل نصي يوحي بأدبية الناقد وثقافته الواسعة وسرعة بديهته ومد ذاكرته، وفهمه الواعي لعملية الوحي والإلهام، وقلبه النابض بالإبداع.

---

١- "ديوان فصل السكون" ص٨١.
٢- "ديوان رحي الذكرى" ص٩٢.
٣- المصدر السابق ص١٧٨.
٤- "ديوان شاطئ السلوان" ص١١١.
٥- "ديوان فصل السكون" ص٩٢.
٦- "ديوان رحى الذكرى" ص٢٧.
٧- "ديوان شاطئ السلوان" ص٤٢.
٨- المرجع السابق.
٩- "ديوان فصل السكون" ص٩٤.

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

٩٥٢٢

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

# المبحث الخامس
# النقد المفاهيمي

## المبحث الخامس
## النقد المفاهيمي

يتنافى مع تطور الزمن والتطلع إلى المستقبل أن يسير الأدب على نهج واحد، كما أن الأدب في ذاته يقوم على الابتكار والتجريب والإلهام، حين تتم لصاحبه القدرة على مزج التجارب التي يمر بها لينتجها فنًّا وإبداعًا في صورة قالب أدبي له صورته وملامحه، غير أن التجربة الأدبية الحديثة تميزت بتداخل أجناسها، وتشابه ملامحها، وتزاحم معاني مصطلحاتها ربما إلى حد الاضطراب.

وقد وعت الحركة النقدية هذا التداخل وأفاضت في رصده وتبريره ودراسته بين مَنْ يسعى لوضع خطوط فاصلة بين الأجناس الأدبية ويدفع نحو توضيح المفاهيم، وتحرير المصطلحات، وبين من يعدّ ذلك قيودًا ينبغي أن يعلو الأدب على أن يوصف بها، وقارئ نقد "سحابة صيف" يجد صدى واضحًا ومادة خصبة للنقد المفاهيمي، وقولبة الأدب.

### أ - تحرير المصطلحات والتعريفات:

يأتي المنهج الناقد للدكتور "عبد الحميد بدران" –في كتابه – متمثلا نهج النقاد القدامى، متوجها نحو تحرير المصطلح وتحديد التعريف مدعمًا رأيه بما جاء فيه لدى سابقيه، ومن ذلك ما جاء في مقاله الناقد، وعنوانه: "تنمية المواهب الإبداعية"، وقد بدأه بتحرير معنى "الموهبة" ودورانه في التراث العربي –بحسب الدكتور "بدران"– بين الهبة والثقافة والطبع، ثم راح يضع حدًا لكل منها، فالهبة: قبول يوضع للإنسان في الأرض، وعطية من الله، يدل لها حديث النبي –صلى الله عليه وسلم– "مَن يُردِ الله به خيرًا

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسمٌ واللهُ يعطي..." [١]، و"الثقافة" -أخذًا من معنى الموهبة- هي "غدير ماء صغير، ونقدة في الجبل يستنقع بها الماء"[٢]، و"الطبع": استعداد فطري، يخص الله -تعالى- به المطبوع دون المتطبع، والمناسب بغريزته للصناعة دون المتصنع...." [٣].

وقد أفاض الدكتور "بدران" في تحرير معنى الموهبة والإبداع بما بينهما من علاقة يراها جدلية، "فقد عرفت الموهبة بأنها استعداد فطري لدى الفرد يُمَكِّنه من التميز في فن من الفنون، بينما عرف الإبداع بأنه تطوير لهذه الموهبة التي تنفتح على شتى مجالات الحياة، وعدَّ للموهبة أمارات وللموهوب سمات أهمها: التفوق اللغوي، والإحساس الجيد بالمفردات، وقدر عال من روح الدعابة، وفهم لطبيعة العلاقة بين السبب والنتيجة، ثم جعل من المران والدربة أساسًا لتنمية الموهبة. [٤]

وحين تتداخل أجناس الأدب وتتلاشى الحدود الفاصلة يقدم الدكتور "بدران" تعريفًا أو ما يشبه التعريف للسيرة الروائية حيث يراها: "هي النتاج الشرعي لتداخل النوع الأدبي بين السيرة الذاتية والرواية، تستمد صدقها من السيرة، وتستمد حبكتها وتشويقها ومعظم شخصياتها من تقنيات

---

١- "سحابة صيف" ص٣٢، والحديث في "صحيح البخاري" -كتاب العلم- باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين- حديث رقم ٧١ -ط دار طوق النجاة- الأولى ١٤٢٢هـ .

٢- المصدر نفسه ، نقلا عن "المحكم والمحيط الأعظم"- ابن سيده - تحقيق: عبدالحميد هنداوي- ٤٣٩/٤- ط دار الكتب العلمية- بيروت- الأولى ١٤٢١هـ .

٣- المصدر السابق، عن "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء"- أحمد بن علي القلقشندي- ٣٤٤/٢-ط دار الكتب العلمية- بيروت- دون تاريخ.

٤- المصدر نفسه ص٣٣.

الرواية..."[١]، فهو منهج ناقد بدا واضحًا ميله للتعريف، وتحرير المفهوم، وبيان حيثياته في شيء من التفصيل.

وفيما يشبه التعريف ينقل عن الرافعي قوله في الشعر إنه "تأثير واحتيال على رجة النفس له، واهتزازها بألفاظه ووزنه، وإدارة معانيه وطريقة تأديتها إلى النفس، وتأليف مادة الشعور من كل ذلك تأليفًا متلائمًا، مستويًا في نسج لا يقع فيه تفاوت ولا اختلال، ولا يحمل عليه تعسف ولا استكراه، فيأتي الشعر من دقته ونسقه الطبيعي، كأنما يقرع به على القلب الإنساني ليفتح لمعانيه إلى الروح..." [٢]

أما تحرير الأسماء والعناوين فأكثر ما يدل لها ما تكرر في منهجه الناقد من توضيح فكرة أسماء وعناوين دواوينه وكتاباته، ومن ذلك قوله في عنوان ديوانه "رحى الذكرى": "في يقيني أن مخاضات الغربة، والحب، والتجديد وإثبات الذات، ثلاثتها أفرزت (رحى الذكرى)، في وقت كانت الرحى فيه مقصودة لذاتها، ليس لأنها تَخَلُّصٌ من كل حدث تاريخي يُراد له ألا يبقى، ولكنها مقصودة لإثارة حراك صوتي يشاكل اللغط الحياتيّ الذي لا يفيد..." [٣]، فلعله يقدم قصائد ديوانه توصيفًا وتعبيرًا عن ذلك الحراك والضجيج المجتمعي للأمة، دون أن يكون من ورائه طائل، فيأتي الشعر على الأحداث يطحنها كالرحى، لعله يخلصه من هذا الضجيج.

---

١- "سحابة صيف" ص٤٧.

٢- المصدر نفسه ص٣١، عن "وحي القلم" -الرافعي-٣/٢١٦- ط دار الكتب العلمية- العلمية- الأولى٢٠٠٠م.

٣- "ديوان رحى الذكرى" ص٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وكذا من تحرير الأسماء والعناوين وتحديد معانيها قوله في مقدمة ديوانه "فصل السكون" تحت عنوان "بين يدي الشعر": "هل كان فصلًا جديدًا ذلك الذي عشناه بتفاصيله وعنفوانه، فبينما رآه المتفائلون ربيعًا، ورآه المتشائمون خريفًا، رأيته سكونًا أناخ راحلته، فشَلَّ الحركة وقيَّد الذات..."[١]، فهي تجلية لعتبة الديوان ربما لا تخطر إلا على قلم صاحبه، حين يرى تجربته في الديوان حالة من السكون تخيم على نفسه الشاعرة وتقيدها، وتأبى الرحيل عنها إلا في صورة ذاك الإبداع.

ومنه أيضًا قوله في عنوان كتابه "سحابة صيف": "رأيت أن أضيف إليه ما يصلح أن يكون عنوانًا لمرحلة معينة من تاريخي، أو سحابة صيف سعيد مليء بالطموحات والآمال، ما لبِثَتْ أن تلاشت وجرفها سيل البحث العلمي الذي لا يحده حد ..." [٢]، فهو حرص دائم على تحير اسم الكتاب وتجليته للمتلقي، ربما برفع النظر عن القالب الفني الذي يحتويه.

**ب- قولبة الفن (أجناسية الأدب):**

لم تغادر نظريات تصنيف الإبداع حديث الحركة النقدية في العصر الحديث، لاسيما في ظل تطور الأدب، وظهور ألوان أدبية جديدة كالقصة الشاعرة، والقصيرة جدًا، والومضة، في النثر، وظهور ألوان التجديد الشعري، ومن ثم لم تغادر عملية التصنيف المنهج الناقد للدكتور "عبد الحميد بدران" في كتابه، لكن أكثر حديثه عنها يحكي عدم توقفه كثيرًا عند القالب الفني أو النقدي الذي يضع فيه فنه بقدر توقفه على ماهية الفن ذاته من حيث الموضوع وأدوات الفن، وقد نص على ذلك في غير موضع من

١- "ديوان فصل السكون" ص٥.

٢- "سحابة صيف" ص٣.

مقالاته الناقدة، ومقدمات أعماله، ومن ذلك قوله يخاطب متلقي مقالاته الناقدة: "سمِّها محاولات مقالية تلك التي أسردها تباعًا، أو سمها ما شئت، فإنها قطعة من عقلي، وخلاصة أفكار شغلت حيزًا من زمن كان ولائي فيه للكتابة والمهمومين بها..."[١]، وكذلك في منهج تفسيري ناقد نجده يعلل هذا الرأي -برفع النظر عن الأجناسية والقولبة- يقول عن مقالاته الناقدة: "لا يعيبها في النهاية أن تكون أي لون أدبي طالما أنها مهمومة بعقل المتلقي ووجدانه، وموصولة بالتراث وأعلامه الذين ندين لهم بالفضل، أن حببوا إلينا اللغة، وقربوا إلينا تذوقها والإحساس بها..."[٢].

فقد بدا واضحًا أنه منهج يَحتسب من الأدب الهدف، والموضوع والفن والفائدة دون النظر إلى الزِّي الذي يتزياه أو القالب الذي يأتي فيه.

وربما يؤكد هذا المنهج لديه قوله في مقدمة سيرته "ابن الكاتب": "لم يدر في خلدي يومًا أن المواقف التي رصدها قلمي وأفاض عليها الخيال مسحة من درامية شفيفة يمكن أن تقيم قصصًا فنية يومًا ما، فكل ماكنت أصبو إليه أن أجسد المواقف وأحرك الشخوص، لعلي أفلح في توظيفها في عمل درامي كبير، لأن الدفقة في رسم مشاهد الأعمال الدرامية لا تتأتي في العمل الكبير دفعة واحدة، ولو حدث ذلك جدلًا فإن الأمر سوف ينتج مشاهد درامية باهتة..." [٣]، فهو منهج لا يعمد إلى قالب فني بذاته، وإنما لديه من المرونة الفنية والاستيعاب ما قد يتلاءم مع قالب أدبي آخر، يقول في مقدمة ديوانه "رحى الذكرى": "في هذا الديوان شكلان من أشكال القصيدة يحملان

---

١- "سحابة صيف" ص٣.

٢- المصدر نفسه ص٤.

٣- "ابن الكاتب" ص١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مجموعة من الأنماط الجديدة، وفي كل نمط منها أسئلة كنت أسألها نفسي، هل يمكنني أن أكمل مسيرتي في ضوء هذا النمط؟ ثم لا ألبث أن أفيء إلى نمط آخر، ثم أعود إلى الأول، وهكذا أجد التجربة تختار نمطها دون ضغط أو تدخل، وكل ما أنا على يقين منه أن حركية القصيدة في داخلي كانت تأبى أن تتقولب في نمط واحد..."[١].

ولا تخفى دلالة ذلك على مرونة رؤية الناقد الأديب لأجناسية الأدب، كما لا تخفى كذلك في وصيته لابنه حين يرجوه كاتبًا، يقول: "عليك حينئذ أن تكتب ما يهذب النفس ويثري الوجدان، ويضيف إلى صفحة الأدب ما يستحق أن تعرف به، ولا يضيرك بعد ذلك أن يكون المنتج قصة أو مقالة أو رواية أو حتى قصيدة، فلكل نوع قراؤه..."[٢]، فهو بذات القناعة يطلب إلى ابنه الكاتب الصغير، وربما يطلب فيه إلى كل الكتاب ألا يتوقفوا عند الجنس أو القالب الأدبي الواحد، وأن يعملوا على تنمية أدوات الفن بحيث تُمكِّنُ صاحبها من التماهي مع توجه الفكر وحركة الإبداع.

وهو ذات المنهج الذي يتأكد لدى المؤلف في سحابة صيفه حين يخاطب القارئ مفسرا رؤيته لجنس كتابته، جامعا بين لوني السيرة الذاتية والرواية، يقول: "سمِّها "سيرة روائية" تلك التي أفيء فيها إلى كثير من الأحداث التي وقعت، لكنني عمدت فيها إلى سرد قصصي تعمدت فيه تغير الأسماء والأماكن وبعض الأحداث، ونَسَبْتُ الحدث لشخصيات لم تشارك فيه..." [٣] ثم يقول في ذات الخطاب: "أو سمِّها رواية ذاتية، فهي تنهج نهج

---

١- مقدمة ديوانه "رحى الذكرى" ص٦.

٢- "ابن الكاتب" ص٣٥.

٣- "سحابة صيف" ص٤٥.

الرواية في تنامي الحدث وتطور الشخصية، وطول الزمن، حين يمر كل ذلك على لسان شخصية الراوي الذي كنته، لكنني لم أكن بطل الأحداث في المشاهد كلها..." [١]، فهو إذ يطرح رؤيته الناقدة لجنس كتابته لا يقطع بجنسها لاسيما حين تبهت الخطوط الفاصلة بين ألوان الأدب لديه، والحق هو ليس بدعًا في ذلك، حين تأتي نظرية "القولبة وأجناسية الأدب" من أهم وأَذْيَع قضايا حركة النقد الحديث.

ومما جاء للدكتور "بدران" في تلك النظرية: ما وجهه من نقد لكُتَّاب الرواية الذاتية" في طور الريادة، قوله: "لقد تورط كثير من كتاب الرواية الأوائل حين حاولوا كتابة "الرواية" الفنية، لكنهم وجدوا أنفسهم يكتبون سيرتهم الذاتية بطريقة أو بأخرى، لأن ما يعرفون عن شخصياتهم كأبطال يفوق ما يعرفونه عن الشخصيات الأخرى التي يجتهدون في تصويرها وتوظيفها في رواياتهم الأولى، التي ما يزال فيها الخيال بحاجة إلى مزيد من الإحكام..." [٢]، وربما يسلم هذا الرأي لصاحبه، فكأنه يشير إلى "توفيق الحكيم" في روايته "يوميات نائب في الأرياف"، و"المازني" في "إبراهيم الكاتب"، و"العقاد" في "سارة"، وغيرهم من كتاب الرواية الذاتية الذين وإن نفوا عن رواياتهم أن تكون سيرهم الذاتية إلا أن أحداث كل منها تشي بغلبة السيرة الذاتية عليها، كما تنطق شخصياتها بنظيرها في بيئاتهم الداخلية والخارجية.

والحق إننا نرى المفارقة والخطوط الفاصلة بين الرواية الذاتية والسيرة باهتة إلى حد تتحول فيه نظرية القولبة إلى قضية جدلية، لكن

---

١- "سحابة صيف" ص ٤٥ .

٢- المصدر نفسه ص٤٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

النصفة تقتضي القول أن الدكتور "عبدالحميد بدران" حاول أن ينأى بنقده عن جدلية أجناسية ما يكتب فجاء أكثر صراحة في خطابه للمتلقي لاسيما في قوله: "لم يدر في خلدي وأنا أخط أولى صفحات (ابن الريف) أنني في طريقي لإنجاز سيرة بطعم الرواية... إنني ما زلت أتساءل حتى اليوم، ماذا كنت أريد أصنع؟ أكنت أحاول السيرة الذاتية، لكنني خفت من إضاءة مواقف مظلمة في حياتي، فهربت إلى خيال قصصي يضمن لي أن أظل هنا وهناك، أو كنت أحاول مد جسور التواصل بين الفنون الأدبية لتصبح أكثر فاعلية وتشويقًا في الوقت ذاته، لأن القارئ سيقرأ عملين في عمل، وفنين في كتاب..." [١]، فهو منهج يعمد إلى الجمع بين اللونين تكثيفًا للأحداث وجِهَة الفن، وتشويقًا للمتلقي، وبلوغًا للفائدة، ومن جهة أخرى يؤكد عدم توقف صاحبه كثيرًا عند القالب الفني بقدر توقفه على ماهية الفن ذاته.

١- "ابن الكاتب" ص٢.

# المبحث السادس
# النقد المنهجي

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

## المبحث السادس

## النقد المنهجي

غير خفية أهمية أن يعود الناقد برؤاه النقدية إلى أساس نظري وإطار نقدي عام، لكن بعض هذه الرؤى النقدية حين نقرؤها يقفز إلى الذهن تماهيها مع أساس موضوعي أو فني معين عناه الناقد أو لم يعنه، وقد بدا ذلك واضحًا في نقد الدكتور "عبد الحميد بدران" في كتابه وجاء هذا الأساس النظري لديه أكثر وضوحًا في النقد التشبيهي، والمنظوم من حيث الفن، والنقد التفسيري، والتأصيلي من حيث الموضوع.

### أولًا- النقد التشبيهي:

النقد بالصورة التشبيهية يعد من أولى صور النقد الأدبي عند العرب، حين يوجز الناقد رأيه في النص في صورة هي أقرب الصور البيانية التي تعقد بين طرفين، إلا أنها كبيرة العمق والتأثير في بيان المعاني واتساع المدلول حين تلائم السياق وتستدعيها التجربة.

وقارئ "سحابة صيف" يلحظ بوضوح هذه الصورة في الفكر النقدي لصاحبه بين ما يورده أمثلة للنقد العربي القديم، وما يرد تعبيرًا عن فكرة، أو وصفًا لمشهد، فمن الأول: ما جاء عنوانًا لإحدى مقالاته الناقدة "أبعار ظباء ونقط عروس" وصفًا لشعر "ذي الرمة" على لسان "ابن خلكان" في "وفيات الأعيان"، قوله: "شعر ذي الرمة نقط عروس يضمحل عن قليل، وأبعار ظباء لها شم في أول رائحة..." [(١)]، ويعلق الدكتور "عبد الحميد

---

١- "سحابة صيف" ص٤٩، عن "وفيات الأعيان"- ابن خلكان- تحقيق: إحسان عباس- ١٧/٤- ط دار الثقافة- لبنان- دون تاريخ.

بدران" عليه ناقدًا: "وهو في نظري يمكن أن يكون خلاصة للنقد التشبيهي الذي أوجز الرأي النقدي عند العرب في أبلغ عبارة...(أبعار ظباء ونقط عروس) ما تزال واحدة من أفضل ما قيل في (النقد التشبيهي) في أدبنا العربي الذي قدَّر الإيجاز خير تقدير..." [١]

ويحكي الناقد الأديب في ذلك أنه سنحت له الفرصة كثيرًا لاستماع عدد من القصائد ذوات المطالع الجيدة، حتى ليود لو استمر شعراؤها على عهدهم من الجودة والرصانة والتصوير البديع، ولكن سرعان ما انكشف الغطاء، فرصفت الكلمات، وتسطحت المعاني، وسرعان ما شردت أذهان المتلقين، وانقلب الإعجاب سخطًا، والانفعال تأففًا[٢]، وربما استحق النص أن يشبه بأبعار الظباء ونقط العروس.

وكذلك مما أورد المؤلف من نقد تشبيهي قديم: ما جاء تدليلًا على أن الشعور هو أساس القصيدة، والصورة هي مرآة ذلك الشعور، يقول: "ولا أدل على ذلك من قول "حسان بن ثابت" وقد رجع ابنه يبكي قائلًا له: لقد لسعني طائر! قال: فصفه لي يا بنيَّ، قال: كأنه ملتف في بردي حِبَرَة[٣]، قال حسان: قال ابني الشعر وربّ الكعبة!..." [٤]، ولاشك في سلامة الدليل لصاحبه، حين يعد النقاد الصورة أرقى أدوات الفن وجوهر التعبير.

---

١- "سحابة صيف" ص٤٩.

٢- ينظر: المرجع السابق.

٣- الحبرة: ضرب من برود اليمن منمَّر. ["لسان العرب" ١٥٧/٤].

٤- "سحابة صيف" عن "الحيوان"- ٣٠/٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أما النقد التشبيهي بلسان الأديب الناقد فمن أكثر ما يدل عليه –وقد جاء شعرًا بمد من أدبه – ما أسلفتُ ذكره في هذه الدراسة قوله ينقد (الشاعر والشعر):

وخلتك شاعرًا من ظهر حرّ فمال الشعر وانكشف الفضولُ

وكنت الوافر (المعقول) قبحًا تطاردك السماء بما تقولَ

فهو يشبه الشعر الموجه لأغراض مذمومة مرذولة بصورة مهملة متروكة يسوغ أن يأتي عليها الشعر من بحر الوافر (المعقول). [١]

وكذلك منه ما جاء ناقدًا للشعر وعدم استساغته في زمن عصيب يمر به الشاعر، والوطن مشبهًا الشعر في ذلك الزمن بالدواء المرِّ حين لا يستسيغه وإن اضطر لتجرعه، يقول: "ربما كان جيدًا أن أنجز في عام نصف ديوان شعري، يمثل أهم ملامح التجربة الشعرية عندي، بعد صمت سنوات، كان الإبداع فيها كالدواء الذي أتجرعه ولا أكاد أسيغه ..." [٢]، ولعل الصمت كان حريًّا بالشاعر في تلك السنوات التي بلغ فيها الألم حد المرارة، فلا يستساغ الشعر حتى وإن كان فيه الدواء، أما هذا اللون من النقد بالصورة التشبيهية فلاشك أنه يتبع قيمة الصورة في الإبداع بلوغًا للمعنى وقوةً في التأثير على القلوب والأسماع، وضوحًا للرؤية وتأدية لحق النقد فهو واجب الأداء.

---

١- ورد الحديث عنها بمزيد من التفصيل في هذه الدراسة ص٩٤٨٤.

٢- مقدمة ديوانه "رحى الذكرى" ص٥.

## ثانياً- النقد المنظوم: [١]

يأتي هذا اللون من النقد الفني ربما أكثر الألوان النقدية لدى الدكتور "عبد الحميد بدران" يمدها أدبه وإبداعه، ولعله أكثرها تماهيًا مع موضوع هذه الدراسة في رؤى الناقد حين يكتبها بقلب شاعر، وفيها ترصد الدراسة نماذج لنقدات أدبية بثها الناقد الأديب شعرَه، ومن ذلك ما وجَّهه من نقد لشخصيته الإبداعية "ابن القوافي" في قصيدته بذات الاسم في ديوانه "فصل السكون"، وهي القصيدة التي تعد نموذجًا للنقد الأدبي المنظوم، ومنها قوله[٢] :

| | |
|---|---|
| ( مفاعلتن ) يُغازلُها ( فعولُ ) | وأنت هناك في سَفَهٍ تجولُ |
| تركتَ مدامعَ الأحرارِ كلمى | وجاهدتَ الهواء بما تقولَ |
| ( فعولن ) ملءَ روحك لا تبارى | ونفح شذاك من حنقٍ غلولَ |
| وخِلْكَ منصِبٌ وأخوك قرشٌ | ولا خَلٌ يدوم ولا خليلَ |
| رويدك يا شويعرُ أيَّ شعرٍ | تخنَّث حين أغراه القبولُ؟ |
| وخلتك شاعرًا من ظهر حر | فمال الشعر وانكشف الفضولَ |
| وكنت الوافر ( المعقول ) قبحًا | تطاردك السماء بما تقولَ |
| فما أغنت عن السفه الأماني | ولا أغنى عن الفكر الذهولَ |

---

١- ورد المصطلح في عنوان كتاب "المنظوم والمنثور في نقد ابن الأثير لمحمد سعيد ربيع"، وفي لون من التجديد ورد بنصه في "النقد المنظوم في شعر عبدالمجيد فرغلي"- أ.د/ صبري فوزي أبوحسين- ط كتاب المؤتمر الدولي لرحالة الشعر العربي عبدالمجيد فرغلي في دورته الحادية عشر.

٢- من ديوانه "فصل السكون"- ص٣٢.

وما أغنى عن الحلم انتظار ولا أغنى ( مفاعلتن ) ( فعول )

فالناقد الشاعر بروح تدفعها الألم وعاطفة يغزها الانفعال يأبى على الشعر أن يكون مظهرًا للذل والخنوع والانكسار، ويأبى على الشاعر أن يتخذ شعره لأغراض التكسب والتسييس والتسفيه وغيرها من مقاصد ممقوتة.

ومن ذلك أيضًا قصيدته: "رسائل إلى شاعر جبان"، وقد جمع فيها الدكتور "عبد الحميد بدران" للنقد بين الموضوع والفن، حين جاءت نقدًا موضوعيًا في قالب فني، يقول: (١)

أعلنتُ أنَّ الشعرَ ما عرفَ القوافي
لُقْمةً أو نِقْمةً
تشْوي القلوبَ على صدَى
( هلْ من مزيدْ؟ )
أقسمتُ ما عرفَ العروبةَ
مَن تصدقَ بالحروفِ
مُراقِبًا نَزْفَ الأُخوةِ في الوريدْ
أقسمتُ ما عرف الكتابةَ
يبتغي حورَ القصيدْ

بعد أن أعلن الشاعر في مطلع القصيدة براءته من الشعر المسيس ونأيه عن هذه الصورة للشاعر، ها هو يفيض في قصيدته يتبرأ من الشعر الموجه لكل الألوان والأغراض الفاسدة لاسيما أغراض التكسب، والهجاء

١- ديوانه "رحى الذكرى" ص١٤، ١٥، من تفعيلة الكامل.

الحاقد، والتخلي عن قضايا الأمة أو الخوض فيها بالباطل، وعدَّ الناقد الأديب ذلك خيانة، ونِخاسة، ودياثة يقسم أن صاحبها لا يعرف الشعر ولا يعي الكتابة، وإنما:

أضحى هناكَ
يبثُّ ما ملكت يداهُ
أميرًا بين أروقةِ القوافي
أعلنتُها في وجههِ
فارتدَّ أعمى
في بلاط الحرفِ
يُعْلي رايةَ الإبداع
شِعْرًا فيه ألسنة الزِّحاف
أضحَى يقينًا في كتابِ الصَّمتِ
إكْليلًا بلوْن النَّزْفِ
( مَكْياجًا ) على شَفَةِ الخِلافِ
تجتاحُ نبضَ حُروفِهِ الحمقى
طُيَوفٌ مِنْ مَرَايا الوَهْمِ
أشباحٌ لِوَأْدِ الحرفِ
أصداءٌ لتنويع الهتافِ
لكنَّه ما زال يَحلُمُ
بالإمارةِ والوزارةِ
والشواطئ
والمطاعم والصِّحاف

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهو يصف هذا الشاعر "الجبان" حين يرى نفسه أميرًا للقوافي أو سبَّاحًا في بحر القصيد، ويراه مخدوعًا ببريق زائف، أشبه بما تمنح المرآه من وهم البهاء الزائف لمن توارى أمامها خلف الطلاءات والمساحيق، لعله يحظى بشعور الجدارة نحو المناصب والعيش الهنيء.

ثم يفيض الشاعر في تلك الرؤية الناقدة، يحاول محو وإحراق هذه الصورة للشاعر الموجَّه، مذكِّرًا إياه بسمو مقاصد الشعر ورقي أغراضه، يقول:

أحرَقْتُ مِعْطفَه القديمَ
وشِعْرَهُ المنثورَ
في دُرجِ التحلي
ما كنتُ يومًا أرتجيهِ
فبيننا قَيْظُ الخلافِ
يَقِيلُ حيثُ يَقيلُ ظِلِّي
لكنه كرهَ المروءةَ
حيث باتَ هواهُ
سُحْتًا بين أرحامِ التَّخلي
أقسمتُ أن أجتثَ من رَحمِ القصيدِ
فصولَ زَيْفٍ
هَدْهَدَتْ ضعفي وذلي
فارتد يبصرُ ما أقولُ
وينثني قِدِّيسَ حَرْفٍ
بينَ مصحفه يُصلِّي

والمعطفُ المحروقُ يشهدُ
أنه قد كان إكليلًا وثأرًا
وابتسامةَ زاهدٍ
يغفو على صدرِ الأماني
بين ريحانٍ وفلٍّ
فارتدَّ في الأحلامِ يَبْسِمُ
يا صديقُ
أطلتَ في كشفِ الغيوبِ
ولا أراكَ اليومَ خِلِّي

هي رؤيا ناقدة لشاعر أراد من خلالها توجيه حركة الإبداع، وهي صورة ربما يحاول برسمها أن يدعو نفسه وفنه للثبات على نبل المقاصد وسمو الفن، في عالم كل ما فيه يدعو للتماهي والمهاواة.

## ثالثًا- النقد التأصيلي:

هو منهج في النقد قائم على التجريب والرد إلى الأصول الملائمة، واعتبار الدرس النقدي السابق، وقد انتهجه المؤلف في كثير من رؤاه الناقدة في كتابه بين طَرْق القضايا الأصيلة في الحركة النقدية بالرأي والتحليل، وبين الاستشهاد بنماذج من روافد التراث النقدي، ومن ذلك:

### أ- الصدق الفني والخيال:

منذ قديم تداعت حركة النقد الأدبي لقضية الصدق الفني في الشعر ربما منذ أن قال "زياد بن أبيه": "الشعر كذب وهزل وأحقه بالتفضيل

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أكذبه"[١]، وبذات المعاني قال "هارون الرشيد" لـ"الأصمعي" ناقدًا: "إن كنت صادقًا فقد أتيت عجبًا، وإن كنت كاذبًا فقد أتيت أدبًا"[٢]، وكذلك ورد عن البحتري قوله:[٣]

كلفتُمُونا حدودَ منطقِكم والشعرُ يُغني عن صدقِهِ كذبُهْ

فضلًا عن المقولة الذائعة والمختلف في نسبتها: "أعذب الشعر أكذبه"[٤]، وقد وَجَدَتْ القضيةُ لها أرضًا خصبة لدى الدكتور "عبد الحميد بدران" لاسيما في مقالاته الأدبية الناقدة، وفي مقدمتها مقاله: "بلاغة الكذب"، وقد بدأ مقدمته المطولة بالسؤال: "ما الذي يجعلنا نحب الأدب حبنا للصباح الجديد؟، وما الذي يجعلنا نترقب المساء بحذر، ترقب خريف العمر الذي نخشاه؟..."[٥] ثم لم يلبث أن أجاب: "أيقنتُ أن المساء هو الغيب الذي ننتظره، وأن الأدب هو محاولة تجميل الواقع الذي نحذره، والعبور به إلى شاطئ الخيال، من خلال السباحة إلى غد مشرق، وعندها أدركت لم خلقنا الله أمة شاعرة مرهفة الحواس لها قدرة على تخيل الجمال حتى في الأشياء التي نحذرها، لأن الأدب نفحة من نفحات العبقرية التي وهبها الله لبني البشر، تنضبط بها النفوس كما تنضبط الأجسام العليلة بفعل المضادات

---

١-"تحرير التحبير"-ابن أبي الاصبع – تحقيق: د/ حفني محمد شرف-ص١٤٥- ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- مصر ١٤٣٥هـ =٢٠١٤م.

٢-المصدر السابق.

٣-"ديوان البحتري"- ص٢٠٩-ط دار المعارف-الثالثة دون تاريخ، والبيت من بحر المنسرح.

٤- اختلف في قائلها وذكرها ابن أبي الاصبع في "تحرير التحبير"-ص ١٤٢، وذكرها غيره .

٥- "سحابة صيف" ص٦٠.

الحيوية، وتهش لها الجوارح هشاشتها لنسمة باردة لامست جسدًا يعاني لفح الهجير..." [١].

بهذا التقديم الذي يسوِّغ للتعبير عن الواقع قدرًا مهمًا من الخيال بدأ المؤلف مقدمة مقاله عن الصدق الفني، وبلاغة الكذب، ثم هو يتخلص إلى موضوع مقاله يقول: "لكننا كثيرًا ما نخشى الجهر بحبنا للأدب، ربما لأن النقاط التي تستوقفنا في الإحساس بجمال العبارة تلفت النظر إلى مكامن إحساساتنا التي نخشى أن يطلع عليها غيرنا؛ لأننا اعتدنا أن نُبْقِي مساحة من الظل لا تستطيع رؤيتها إلا ذواتنا، وربما لأننا أصحاب لغة شاعرة والشعر يقوم على الخيال، والخيال مبني على مجافاة الواقع، فمِن ثَمَّ نحاول أن نكذب على ذواتنا في مقابل إرضاء الآخر..." [٢]

وهومنهج نفسي تفسيري مسوّغٍ لقدر من الخيال يلتمس به الأديب الناقد لصاحب اللغة الشاعرة أسبابًا تدفع خياله ليُلِمَّ بقدر من الكذب البليغ" الذي ربما يتحول من حيث الفن إلى صدق، ويأتي أسلوبًا عذبًا، ثم هو يدلف إلى الحقيقة التي يدركها كل شاعر وهي وصف الله -تعالى- للشعراء في القرآن الكريم، " وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾"[٣]، ليطرح سؤاله النقدي الكبير" "هل نحن أمة شاعرة بهذه الصورة الخادعة؟ أم أننا نستسيغ، ونزيِّن، ونمارس بلاغة الكذب؟"[٤]، ولا أدل على هذه الاستساغة، والممارسة مما عرفه العرب من ألوان الطرافة والظرف والتفكه والمُلَح، مما ينطوي على

---

١-"سحابة صيف" ص٦٠.

٢- المصدر السابق ص٦٠،٦١.

٣- الآية (٢٢٦)، سورة الشعراء.

٤- "سحابة صيف" ص٦١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لون من الكذب سماه العرب فن (التكاذب)، وأفاض الدكتور "بدران" في التمثيل لهذا الفن مما جاء عن العرب، كقولهم: "تكاذب أعرابيان، فقال أحدهما: خرجتُ مرة على فرس، فإذا أنا بظُلْمَةٍ فيمَّمتُها حتى وصلت إليها، فإذا قطعة من الليل فأنبهتها، فما زلت أحمل عليها حتى اصطدتُها، وقال الآخر: "رميت مرة ظبيًا بسهم فعدل الظبي، فعدل السهم خلفه، فعلا السهم ثم انحدر، فانحدر السهم حتى أصابه..."[١]، ومما أورد كذلك: "قال رجل: زرع أبي "السلجم" -اللفت- وكان يبلغ كل شجرة جريب أرض -فقال الآخر: كان أبي اتخذ مرجلًا (قدرًا من نحاس) وكان يعمل فيه خمسون أستاذًا لا يسمع كل واحد منهم صوت مطرقة الآخر، فقال صاحبه: ما أكْذَبَك أي شيء كان يطبخ في ذلك المرجل؟ فقال السلجم الذي زرع أبوك..." [٢].

وأكثر ما تبدو واضحة رؤية المؤلف لقضية الصدق الفني: في تعقيبه على ما أورد من أمثلة لفن "التكاذب"، يقول: "إذا قرأنا هذه المُلَح، ثم وضعنا نصب أعيننا أنها قيلت في ظل الإسلام، وكان الكذب وما يزال محرمًا أشد التحريم، أدركنا الفرق الجوهري بين الكذب والتكاذب والحقيقة والدعابة في الأدب، وأن الله -عز وجل- حين وضعنا على هذه الصورة، واختار لنا هذه اللغة، قد وضع لنا ما يصلحنا من حب الدعابة، وميل إلى الظرف، واستملاح النكتة..." [٣]، قلتُ ولعل المصري (ابن البلد) هو أوفى الناس حظًّا من هذا

---

١- "سحابة صيف" ص٦٢، عن "محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء"- أبو القاسم الراغب الأصفهاني-١٥٩/١- ط شركة الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت- الأولى١٤٢٠هـ ، و"الكامل في اللغة والأدب"- المبرد أبو العباس- تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم- ١٤٨/٢- ط دار الفكر العربي- القاهرة- الثالثة١٤١٧هـ .

٢- "سحابة صيف" ص٦٢،٦٣-عن المرجعين نفسيهما.

٣- "المصدر السابق" ص٦٣.

الميل، حين شرب وطعم من ماء النيل ووادیه، إناء كبير ومائدة حافلة كما تطعم القيم تطعم الصفاء والظرف والابتسام.

وليس من التناقض مع هذه الرؤية ما نرصده للدكتور "عبد الحميد بدران" من التزام الصدق حين يؤرخ لمراحل التطور الزمني في شعره، لاسيما زمن طفولته الشعرية، وديوانه "شاطئ السلوان"، وقوله في مقدمته ناقدًا: "في ظني أن أية كتابة عن شعر الشاعر هي تأريخ موثق لهذا الشعر، مهما استهان الشاعر بها، أو حاول تحجيم أهميتها، وهذا التأريخ يفرض على الشاعر أن يكون صادقًا غاية الصدق فيما يؤرخ، وإلا حار النقد في نسبة الشعر إلى المرحلة التي ولد فيها، واضطر الناقد أن يضع كل مراياه أمام كل إشارة حتى يستوثق منها.... مما يجهده في النهاية، ويصرفه قليلًا أو كثيرًا عن جوهر النقد ومعايشة التجربة، والسياحة في فضاءات النص..." (١)

فلعلها المفارقة بين الصدق الموضوعي (مضاد الكذب)، وهو ما يتحراه الناقد الأديب هنا في التأريخ لزمن طفولته الشعرية، وربما كل أزمان حركة تطوره الشعري، وبين الصدق الفني في جانب التصوير وأداته الخيال، وهو ما أطلق عليه (الكذب البليغ)، ويؤكد هذا التفسير بالمفارقة أصالتها في حركة النقد الأدبي، فالأديب شأنه في ذلك شأن سابقيه ممن لم يعتمدوا في الشعر الصدق المطلق، وكذلك لم يطلقوا العنان لجنوح الخيال.

ومما أورد الدكتور "بدران" في هذه القضية رأيه في درجة الصدق التي تنبغي لكاتب السيرة الذاتية، ذلك أنه حين كتب سيرته بطريق روائي

---

١- مقدمة ديوانه "شاطئ السلوان" ص٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أعلن أنه وإن كان الشخصية الرئيسة في عمومها إلا أنه لم يكن بطل الأحداث في المشاهد كلها، ولم يكن محور كل التفصيلات التي يسردها، ولم يكن يشغله شيء أكثر من التشويق القصصي، ومن ثم كان تغييره أسماء الشخوص والأماكن بغرض التمويه، وبما يمنحه أريحية في السرد، ومساحة أكبر نحو التشويق، وعدَّ الكاتب ذلك منه اختلافًا نوعيًا عن سابقيه لهذا الفن نتيجة اختلال ميثاق الصدق الذي التزموه في كل أدب يصدر عنهم تصويرًا لوقائع حياتية، وفي منهج تفسيري للنقد يعلل الأديب هذا الاختلاف -الذي أباح له شيئًا من الكذب الفني بقدر ما يحمل الخيال- يقول: "ليس لأن الصدق التام في نظري أمر مستحيل كما يُظَن، ولكن لأن الصدق التام لا يُنتج أدبًا جيدًا يعلي من قيمة التشويق، ويترك مساحة للتوتر والتنامي..." [١]، وعلى ذلك فهو يبيح للسيرة الروائية أن تنحرف قليلًا وربما كثيرًا عن الأحداث والوقائع التاريخية التي مرَّ بها كاتبها، وأن تمعن في إخفاء بعض الأحداث التي يتحرج صاحبها من نشرها، ولتأتي أكثر قصصية وحبكة درامية، وتشويقًا للمتلقي، وتأتي من حيث الفن نموذجًا لتداخل الأجناس الأدبية، أما السيرة الذاتية -بحسب الأديب الناقد- فتلتزم الصدق والتسلسل التاريخي في ذكر الأحداث والوقائع.[٢]

وغير خفي أن الدكتور "عبد الحميد بدران" قد بنى هذا الرأي الناقد على تجربته الخاصة -حين يمد النقدَ قلبُ الأديب- في كتابة سيرته الذاتية، وقد تحول فيها السرد لتأتي رواية ذاتية، يقول في مقدمتها: "لم يدر في خلدي وأنا أخط صفحات (ابن الريف) أنني في طريقي لإنجاز سيرة بطعم

---

١- "سحابة صيف" ص٤٦.

٢- المصدر السابق ص٤٦، ٤٧.

الرواية، بعد أن أيقنت أن الصدق المطلق في سرد السيرة الآتية يعد ضربًا من ضروب الخيال، وأن كاتب السيرة عليه أن يمزج الحقيقة بالخيال حتى يتمكن من سرد الحقيقة منسوبة لشخوص غير الذين قاموا بها طالما أن عمله سيقابل بأريحية لم يكن مثقال ذرة منها ليتحقق لو قال فعلتُ أو فعل فلان ..." [١]، وغير خفية دلالة هذا القول للأديب على ما ذكرناه من رؤيته لقضية الصدق الفني.

**ب- استرفاد التراث النقدي**:

بدت في التاريخ جذور النقد ربما من لدن وجود الأدب، لكن الحركة النقدية اتفقت على التأريخ له بدءاً مما يسمى "النقد الانطباعي" في العصر الجاهلي مرورًا بما مر من تطور سريع في العصور التي تليه حتى مناهج النقد الحديث والمعاصر التي لم تولد بمعزل عن التراث النقدي وعُدَّت فرعًا من التحليل الأدبي القديم، وأكثر النقاد المعاصرين على الرغم من انتهاجهم المناهج النقدية الحديثة فهم يسترفدون للتدليل على رؤاهم النقدية ما يتفق معها من نصوص التراث النقدي بما تضم من شعر ونثر فني (حكم وأمثال)، وربما بدا ذلك واضحًا فيما عرضَتْ له هذه الدراسة من رؤى نقدية للدكتور "عبدالحميد بدران"، لكن ذلك لا يمنع من رصد مستقل ومفصل لتلك النصوص وعرض نماذج واضحة لها، لاسيما وقد جاءت ظاهرة نقدية في مقالاته الناقدة.

ومن ذلك ما أورده الدكتور "بدران" استشهادًا على أن نقد الشعر يوجَّهُ لكبار الشعراء كما يوجَّه لضعافهم، ومن الخطأ أن يُظَن أن النقد فقط جاء

---

١- "ابن الكاتب" ص١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لتقويم الشعر الضعيف، فلطالما انتُقد كبار الشعراء منذ قديم، ومن ذلك ما وُجِّه للنابغة" في قوله من الكامل:

سقط النصيف ولم تُرِد إسقاطه ... فتناولته واتقتنا باليدِ

بمخضبٍ رخصٍ كأن بنانه ... عَنَم يكاد من اللطافة يعقدَ

باختلاف الإعراب في القافية بين الرفع والخفض، فقدم المدينة، فعيب عليه ذلك، فلم يأبه له حتى أسمعوه إياه في غناء، وقالوا للجارية: إذا صرت إلى القافية فرتلي، فلما فعلتْ، عَلِمَ وانتبه، فلم يَعُدْ فيه، وقال: قدِمتُ الحجاز وفي شعري صنعة، ورحلتُ عنها وأنا أشعر الناس.(١)

ومنه كذلك ما أورده الدكتور "بدران" منتقدًا صاحب النص حين تأخذه العزة فيستعلي على النقد ولا يعبأ بالتقويم الجاد، فهو يهدي إليه قول "أبي هلال العسكري": "فإذا عمِلت القصيدة، فهذبها ونقحها، بإلقاء ما غثَّ من أبياتها، ورث ورذل، والاقتصار على ما حسن وفخُم، بإبدال حرف منها بآخر أجود منه حتى تستوي أجزاؤها، وتتضارع هواديها وأعجازها..." (٢)، وبعيدًا عن جانب القيمة النقدية للنص لا يخفى أن "أبا هلال" بهذه الرؤية وتلك الوصية يميل بمنهجه النقدي -معه حيث الفن- إلى جانب الصنعة على حساب الطبع.

وكذلك من استرفاد التراث النقدي ما أورده المؤلف دعمًا لرأيه الناقد لقضية الصدق الفني، على ما يبيحه ويدعمه في الشعر مما أسماه "الكذب

---

١-ينظر: "سحابة صيف" ص٢٠، عن "الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء"- المرزباني- ص٣٨، والبيت من الكامل.

٢- المصدر السابق ص١٨.

البليغ"، قول "الثعالبي": "الكذب في مواطنه كالصدق في مواضعه، ولكن الشأن فيمن يُحسنهُ ويعرف مداخله ومخارجه، ولا يجهل تزاويقه ومضايقه، ولا ينساه بل يحفظه... ولا خلاف في أن الشعر ديوان العرب، ولسان الزمان، وأحسنه أكذبه، وكذلك الكتابة لا تحسن إلا بشيء منه، وقد جاء في المثل: (أظرف من كذوب) [١]، قال الأعشى: [٢]

فصدقتُها وكذبتُها والمرء ينفعُهُ كذابه..."[٣]

فهو استرفاد نقدي مركب من وجهيين الأول: استشهد الدكتور "بدران" بما اتفق له من رؤية "الثعالبي"، وكذا فعل "الثعالبي" حين استشهد ببيت "الأعشى"، والثاني: حين جاء نثرًا وضم تأكيدًا وتأييدًا الشعر والمثل.

وربما يلحق بهذا ما تكرر لدى الدكتور "بدران" من استرفاد المثل العربي من التراث النقدي، ومنه ما أورده من قول العرب: (أَسْمعُ جعجعةً ولا أرى طِحْنًا)[٤] ، استشهادًا لتسمية ديوانه "رحى الذكرى" وقت أن كانت

---

١- "سحابة صيف" ص٤٦.

٢-خلا ديوان الأعشى من البيت، وأورده أبو علي الفارسي منسوبًا إليه في مطلع عدة أبيات وُجدت في ديوان الأعشى عدا هذا البيت، [ينظر: "شرح شواهد الإيضاح لأبي علي الفارسي"-عبدالله بري- ص٦٠٦- ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م]

٣- "سحابة صيف" ص٦٤، عن "تحسين القبيح وتقبيح الحسن" - محمد بن إسماعيل الثعالبي- تحقيق: نبيل عبدالرحمن حياوي- ص٢٣-ط دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت -دون تاريخ.

٤- الجعجعة صوت الرحى، وهو مثل عربي جاهلي يضرب لمن قوته فقط في لسانه ، ولكثرة الصخب دون فائدة.[ينظر "زهر الأكم في الأمثال والحكم"- الحسن بن مسعود اليوسي- تحقيق: د/ محمد حجي، ود/ محمد الأخضر-١٧٦/٣- ط دار الثقافة بالمملكة المغربية٢٠٠٩م]

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الرحى مقصودة لديه ليس فقط للتخلص من أحداث تاريخية مؤلمة، وإنما أيضًا ليشاكل صوتها اللغط الحياتي الذي لا يفيد كما لا تفيد الرحى حين تدور ولا طحين، فلا تنتج، وهذا المعنى هو مضرب المثل، ولا أدل منه على بلوغ المعنى المراد لدى الأديب من اسم ديوانه.

وقريب منه كذلك ما أورده من المثل العربي: "نقد الأقران لا يقدح"[١] مدعمًا رأيه فيما كان من "العقاد" في "الديوان"، وكذا من "الرافعي" في "على السفود" من تعدٍّ وشطط في النقد ضد أقرانهم من الأدباء المحافظين، ولاشك فيما يدعم المثل من تأكيد معنى ما قد يكون بين الأقران من ضغائن وإحن تجرح رؤاهم النقدية وتطعن في نزاهتها.

## رابعًا- النقد التفسيري:

هو منهج نقدي له جذوره الأصيلة في النقد العربي، يُعنى بعملية فهم المعطيات التفسيرية للنصوص والرؤى الناقدة، وتعليل النشوء، وإظهار غير المرئي، في ضوء قناعات الترجيح والتضعيف والمناقضة والتأييد، وفق قوة الأدلة والمؤكدات. [٢]

وبعيدًا عن التنظير هو منهج نقدي مطروق لدى النقاد، وإن لم يقصده كثير من منتهجيه، وقارئ المقالات النقدية للدكتور "عبد الحميد بدران" يلحظ بوضوح انتهاجه هذا المنهج، وربما دعوته له، فهو حين يفهم النقد على أنه تمييز الجيد من الأجود يدعو إلى توجيهه في صورة مثالية بحيث "يعود الكاتب إلى تقويم كل خاصية من خواص القصيدة بالتعليل الجيد والحجة

---

١- سبق تخريجه في هذه الدراسة ص٩٥٠١ .

٢- ينظر: "منهج النقد التفسيري عند الإمام الرضا.. قراءة في حل الإشكالات الفكرية"- د.سيروان عبد الزهرة الجنابي، موقع: www.iasj.net.articl."سحابة صيف" ص٤٦.

الواضحة، وهو عمل منهجي يفيد منه الشاعر أيَّما فائدة، وبخاصة إذا لم يكن قد أقدم على طبع ديوانه..." [١]، فهو يدعو الناقد إلى تفسير ظواهر النص وتقديم أدلة رؤيته، ولاشك أن الدعوة إلى المنهج ربما تأتي أكثر من ممارسته في الدلالة على القناعة به.

ومن النقد التعليلي ما تضمنه خطابه لابنه وقد رجُاه كاتبًا، يدعوه للصمت والتأمل والكتابة ويبصره بقول الإمام "عبد القاهر الجرجاني" عن باب "الحذف" في البلاغة العربية: "هو باب دقيق السلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسِّحر، فإنك ترى به ترك الذِّكْر أفصح من الذِّكر، والصمت عن الإفادة أزيدَ للإفادة، وتجدُك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تُبِن..." [٢]، ثم الناقد الأديب يقول معقبًا، ومفسرًا بطريق الاستفهام التقريري" "لماذا كلما ذكرت الطبيعة ذكرت معها هذا الكلام؟، أهو الصمت في حرم الجمال؟ أم هو الجمال في حرم الصمت؟، وأي أدب أرقى من أدب الطبيعة حين يغرق الأديب حتى أذنيه متأملًا الأشياء وانسجامها؟..."[٣]، فهو إذ يهدي ابنه كلام الشيخ الإمام عن لطافة الحذف ودقة مسلكه، والصمت يعود معللًا ومفسرًا ذلك بما يدعو إليه ابنه من الصمت والتأمل في الطبيعة حتى تصبغه بفطرتها وتخلع عليه شيئًا من إبداعها.

وفي أسلوب أكثر صراحة في النقد التعليلي يفسر المؤلف ما قد يحدث من كراهية الشعراء للنقد، ويراها "ترجع إلى أن بعض الشعراء ينظر للنقد

---

١- "سحابة صيف" ص١٨، ١٩.

٢- "ابن الكاتب" ص٣٥، عن "دلائل الإعجاز"-تحقيق: محمود محمد شاكر- ص١٢١- ط مطبعة المدني- القاهرة ١٤١٣هـ -١٩٩٢م.

٣- "ابن الكاتب" ص٣٥، ٤٦.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

على أنه محاولة تلمس أخطاء الشاعر؛ لإظهارها واستغلالها في التشهير به، وهذه الفئة من شداة الأدب يظلون شداة، لأن في اعتقادهم أن النظم على بحر أو بحرين أو عشرة يضمن لهم الحشر في زمرة الشعراء، وما هكذا يصنف الشعراء، ولا هكذا يفهم النقد..." [١]، وكأنهما طرفا نقيض، والأديب بهذا التعليل حين يدعو إلى عدم توجه الناقد بغرض النَّيْل من الشاعر يدعو كذلك إلى عدم تحفز الشاعر ضد النقد، فإن يتحفز كل منهما ضد الآخر فلا شاعر ولا ناقد، ولعلها معركة شخصية لا علاقة لها بالأدب والفن.

وكذلك من النقد التفسيري للناقد الأديب ما أورده من تعليل كون ديوانه "رحى الذكرى" يأتي أهم ملامح تجربته الشعرية بعد صمت سنوات، يقول: "أبت شحنات الغربة إلا أن تضع أوزارها على صفحات هذا الشعر، مغلفة بأصداء تلك الفترة العصيبة التي يمر بها الوطن، من مدٍّ تقني مذهل، إلى تعثر أخلاقي مريب، إلى هبوط تعليمي مريع، كل هذا كان جديرًا أن ينتج شيئًا ليس فيه إلا صفاء الفطرة، ونقاء الطبع، وعذوبة موسيقى الشعر..."[٢]

ولعله بهذا التعليل يجمع إلى المنهج التفسيري طرفًا من المنهج النفسي حين يذكر دوافعه النفسية ومحفزاته على الكتابة بعد ما عدَّه صمتًا طويلًا، ولاشك أن آلام الغربة، وهموم الوطن، تأتي أقوى البواعث حين يكون الدَّفع والتحفيز.

---

١- "سحابة صيف" ص١٨.

٢- "رحى الذكرى" ص٥.

# المبحث السابع
# نقد الأسلوب

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

## المبحث السابع

## نقد الأسلوب

ربما يعد الأسلوب هو الأكثر دلالة على ذات الأديب ورؤية الناقد، لاسيما حين يأتي ترجمة صادقة لحديث النفس، وتعبيرًا واضحًا عن مكنونها، تفيض به وتلح في إعلانه، وليس الحديث هنا عن كل ظواهر الأسلوب الأدبي أو النقدي للدكتور "عبدالحميد بدران" في كتابه، وإنما عن أكثر ما بدا منها وجاء أكثر إلحاحًا في مقالاته وكل أدبه الناقد، خبرًا وإنشاءً، معنى وموضوعًا، وشكلًا وأداة، بين أساليب الاستفهام والاعتداد بالذات، والتكثيف، والتشويق، وغيرها مما يعد ظاهرة أسلوبية.

### أ- الاستفهام:

يأتي أسلوب الاستفهام في عدد من صوره أكثر ظواهر الأسلوب وضوحًا لدى الدكتور "عبد الحميد بدران"، ربما للتعبير عما يحمل أدبه من هموم الأمة وآلامها، وما تحمل رؤاه النقدية من شعور بضياع المنطق واختلال الموازين، ومن ذلك ما جاء في مقدمات كتاباته استفهامًا وقاسمًا مشتركًا، توصيفًا لما يتمناه لها، من مثل ما وجهه للمتلقي في مقدمة كتابه الناقد "سحابة صيف" قوله: "فهل تصلح هذه المقالات الإبداعية أن تكون شيئًا مذكورًا في باب الأدب يومًا ما؟..."[١]، وكذلك ما جاء في مقدمة سيرته الذاتية "ابن الكاتب"، قوله: "ثم كان عليَّ أن أسأل نفسي وأنا أقدم الحلقة الثانية من السيرة الذاتية، هل أنا قادر على تقديم حلقة أخرى بطعم

---

١- "سحابة صيف" ص٤.

مختلف؟..."[١]، وفي مقدمة ديوانه "رحى الذكرى" قوله: "أسئلة كنت أسألها نفسي، هل يمكنني أن أكمل مسيرتي في ضوء هذا النمط؟..."[٢]، ولعل أكثر ما يدل على أسلوب الاستفهام لديه تلك الاستفهامات المتوالية التي أوردها في استهلال مقاله الناقد بعنوان "يسألونك عن الشعر": "إذا سألوك عن الشعر فقل لهم: وماذا تعرفون عن الشعر ورسالته؟ ومَن غير الشاعر يستطيع تجسيد المشاعر بحيث تصير شخوصًا تتحرك، وأقدامًا تسعى، وأجنحة تطير؟، ومن غير الشاعر يصف فيجيد الوصف، ويأسى فتتعزى النفس، ويفرح فتتزين الأرض بنور ربها؟، ومَنْ غير الشاعر ينشد الجمال ليرى وجه الأرض واحة خضراء، سماؤها الأمل، وأرضها التسامح، وهواؤها الإخاء؟ ..." [٣].

وغير ذلك من الاستفهامات التي لم تغادر أسلوب الأديب الناقد تكثيفًا لمعانيه، ورؤاه، وتعبيرًا عن ألم نفسه الحائرة، وتركه الأحكام القطعية، ومحاولاته الجادة نحو جذب المتلقي وإشراكه في التجربة، في قناعة ترى أسلوب الاستفهام أحد مزايا إقناع المتلقي وتعميق التأثير فيه.

## ب- التشويق والتكثيف:

يبقى التشويق عنصرًا معتبرًا في العمل الأدبي، ودلالة مهمة على بلوغ التأثير في المتلقي، حين يحدث لديه حالة من الترقب، والانتظار، وإثارة الخيال نحو تلقيه للتطور الموضوعي والفني للعمل الأدبي، وعلى هذا المعنى عنى الدكتور "عبدالحميد بدران" بالتشويق مؤكدًا "أنه الحبل السري

---

١- "ابن الكاتب" ص٣.

٢- "رحى الذكرى" ص٦.

٣- "سحابة صيف" ص٢٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الذي يمسك بخيوط أي عمل أدبي، والشيء الوحيد الذي يضمن سريان الفكرة في نفس المتلقي كما يسري الأكسجين النشط في الأوردة والشرايين، لكن نجاحه أو نجاح الكاتب في توظيفه يعتمد في المقام الأول على براعة الكاتب في تكثيف الأحداث، فكلما كان الحدث مكثفًا كان التشويق أوقع في نفس المتلقي، وأقرب إليه من جميع الخيالات التي تسري في كيانه أثناء متابعة الحدث..." [١].

وليس أكثر دلالة من هذا القول تأكيدًا للرؤية الناقدة حين تربط عنصر التشويق بتكثيف الأحداث وحشد معاني النص، والاعتداد بحال المتلقي الذي يوليه الأديب الناقد عناية خاصة ينبئ عنها قوله: "لن أستنكف وأنا أُعَبِّر عن المخاض لكتابي فأصف التوتر والقلق، وأنا أشاهد وقع حروفي على المتلقي الذي ربما عاش لحظات مثل التي يطالعها بين ثنايا كلماتي..." [٢].

أما عن ربط الأديب الناقد للتشويق بتكثيف الأحداث فربما يدل له في أدبه قوله في سيرته الذاتية "ابن الكاتب" يخاطب ابنه الذي يرجوه كاتبًا: "أظنك ما نسيت يوم رَفَعْتُ سماعة الهاتف لأحدث جدك نصف ساعة عن المشاغبات التي صنعتماها في ذلك اليوم، ثم نقلت لكم أشواقه، ووصاياه لي ألا أعاقبكم، وأن أرعاكم كما كان يرعاني، وأن أترك لكما مساحة تلهوان فيها فتحطمان (الراديو، والتليفزيون، والمكواة، والخلاط، وأكواب الشاي، وأطباق الصيني)... ثم بعد ربع ساعة من الحديث وجدتموني سكت فجأة، فسألتماني: "فقلت لكم: إن هاتفه غير متاح، وأنتم لا تعلمون أنني اخترعتُ هذا الحوار لأبرهن لكم على حبي للقص، وبراعتي فيه، حتى أضمن أن أجد

---

١- "ابن الكاتب" ص٢.

٢- المصدر السابق ، ص٣٤.

مكانًا في خيالكم يومًا ما، إذا صرت جدًا مثلما صار أبي..." [١]، وغير خفية في النص مظاهر تكثيف وتزاحم معاني وأوصاف ومشاهد المشاغبات، والأشواق، والعقاب والرعاية، واللهو، وتحطيم أجهزة المنزل والآنية، وكذا غير خفية معاني تشويق المتلقي إلى صورة تلك المشاهد في ذاك الحوار المخترع الذي أشار إليه الأديب الناقد دون أن يذكر له تفصيلًا.

## جـ- الاعتداد بالذات:

لا يُجاز الحديث عن النفس إلا بضروب من اللباقة وأفانين اللياقة والقول، وعلى الرغم من توافر هذه الصفات في كثير من أهل الرفعة والأدب والفن إلا أن أكثرهم يختار السكوت عن سيرته الذاتية ربما لكراهة وصعوبة الحديث عن النفس، وخشية الوقوع في العُجب والزهو، علمًا بأنه "ليس في الناس من يكره التحدث عن نفسه حتى الذين يقولون ذلك بألسنتهم إنما يعانون ألمًا شديدًا لكف أنفسهم عما تشتهيه، إذا هم قدروا على كفها..." [٢]، وقد وجدت هذه القضية لها صدى في الرؤى النقدية للدكتور "عبد الحميد بدران" لاسيما فيما سمَّاه "تضخم الذات"، حيث بارك اعتداد الأديب بنفسه ربما إلى حد تضخمها، إلا أنه اشترط لذلك أن يكون الأديب في ذات الوقت واعيًا بوظيفة الشعر التهذيبية والجمالية، وأن تكون نفسه في توق مستمر لاتهام آلته الإبداعية بالتقصير اتهامًا يدفعه إلى التجويد والتهذيب، حتى لا تتضخم الذات، فتتضخم معها دواوين الشاعر دون أن تنطوي على معاناة شعرية تستحق القراءة..." [٣]، وفي ظل هذين القيدين ربما يكون ما يسوغه

---

١- "ابن الكاتب" ص٥٠.

٢- "فن السيرة"- د/ إحسان عباس-ص٩٨- ط دار الثقافة – بيروت- الرابعة ١٩٧٢م.

٣- "سحابة صيف" ص٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الأديب الناقد من اعتداد بالذات يأتي دفعًا لرفعة الأدب، وعزة لشأن الأدباء، ودعمًا لقيمة الإبداع.

وربما يأتي من ذلك لديه ما قد يشي به قوله في وصف مقالاته الناقدة: "إنها وجبة من المقالات الأدبية وضَعَتْ في ذهنها وسطية القارئ المتأدب، وحرِصَتْ على تلبية احتياجاته الحياتية والأدبية، فأدَّبَتْ في صمت، وقوَّمَتْ في لطف، وهذَّبَتْ في سكينة، ونوَّعتْ في طرائق عرضها، أملًا في القضاء على الرتابة التي دائما ما تعوق مسيرة الفن..." (١)، وكذا قوله في مقدمة سيرته الذاتية "ابن الكاتب": "أفلحت في الاستجابة لهاجس الكتابة الذي كان يجتاحني، لكنني موقن أن الذكريات المحفورة في كياني كانت المداد والقلم، وأن الثقافة التي تثقفت بها كانت تمثل الوعي الذي أدرك فيه أحيانًا أنني في طريقي لعمل مختلف..." (٢).

فهي رؤية تبدي صاحبها مزهوًا متشامخًا، ولعلها بما توحيه من اعتداد بالذات جاءت جديرة بما سطَّر فيها صاحبها الأديب الناقد فلا أجلَّ من القلم حين يكون الفخار، ولكن ربما كانت أجدر لو جاءت بلسان المتلقي، نأيًا بالأدب والفن عن المباهاة أو مدح الذات وعن كل ما يُشعر بنقص أو يدعو للَوْم، أو يصرف الأديب ومن بعده الناقد عن عناصر الفن المنشودة في العمل الأدبي.

---

١- "سحابة صيف" ص٤.

٢- المصدر السابق ص٢.

# الخاتمة

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

# خاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الطيبات، وتتحقق بفضله الغايات، والصلاة والسلام على سيد السادات، وعلى آله وصحبه الهداة، وبعد:

فغير خفي أن الأديب هو أول ناقد لفنه، وأنه ليس غريبًا حديث الشعراء عن الشعر والشاعر، فأكثره يأتي من حيث الفن أدبًا ذاتيًا، وكذلك ليست بعيدة الرؤية الحالمة والمثالية للأدب، والمكانة العالية للأدباء أن يعيها أصحاب الأدب لأنفسهم، ويفخرون بها حين يكون الفخار.

وقد تمكن الدكتور "عبد الحميد بدران" في كتابه "سحابة صيف" من بث ذاته والتعبير عن رأيه الناقد، وعرض رؤيته في فصاحة لفظ، وبلاغة معنى، وفهم عميق لدور النقد، حتى لنلمح في نقداته وموضوعات رأيه أفكارًا متجددة من نقد الأُوَل الذين كثيرًا ما يتزيا إهابهم، ويرتدي عباءتهم، ويتغيَّا أهدافهم دون أن يبطل وصفه بالجدة والاستقلال، فهو إذ يفعل فبروح نقدية شابة، ورؤية معاصرة جادة.

وها قد انتهت هذه الدراسة، وربما لم يتبق منها سوى عرض ما تمخض عنها من نتائج، وما خلصت إليه من توصيات:

١- بدا واضحًا أن الرؤية النقدية في الكتاب جاءت يمدها أدب صاحبه إن شعرًا وإن نثرًا، كما أنها تستند إلى تجربة ودربة ومراس، وأسباب صحيحة غير مزيفة ولا مصطنعة، وكذلك جاءت ترتكز على مناهج نقدية وفنية أصيلة ومُقَدَّرة.

٢- جاء جليًا تداعي رؤى الدكتور "بدران" النقدية -في كتابه - لواقع الحركة النقدية المعاصرة، ثم جاءت مناقشته لقضايا: كراهية النقد،

واستفزاز الناقد، ونقد الصالونات الأدبية، والمناقشات العلمية، وشهوة النشر وضوابطه، وتحرير المصطلحات، وقولبة الفن، و"أجناسية" الأدب، وغيرها من الإشكاليات التي تحيط بهذا الواقع.

٣- ترصد الدراسة تأكيد التوجه النقدي للكتاب على حب الناس للمفاضلة بين الأشياء المتقاربة ومن ثم اعتماده المنهج الموازن وبيان المفارقة في الرؤى النقدية أداة مهمة في التقويم الجمالي، ومن ذلك ما ترصد الدراسة من رؤية مجملة للأديب الناقد تُسَوِّي بين "الرافعي والعقاد" في أدبيتهما وأثرهما في المتلقي، أما في تفصيل ذلك فهو يستعين بما اتفقت عليه حركة النقد الحديث، ويذكر فروقًا فردية معتبرة بين الأديبين العَلَمَيْن.

٤- جاءت فكرة الإلهام والوحي ثم طرق الكتابة، من الموضوعات التي أفاض الدكتور "عبد الحميد بدران في التنظير لها في غير موضع من مقالاته الناقدة وإشارات واضحة في أشعاره، ترد جانبًا كبيرًا من عملية الإبداع إلى أثر الانفعال بتوقع ردة فِعْل المتلقي وتفكير الشاعر في استمالته وجلب رضاه، بعيدًا عن أدنى إسهام لأية قوى غيبية.

٥- جاء النقد المفاهيمي مادة خصبة في المقالات النقدية للأديب الناقد، حيث تحريره عددًا من المصطلحات ووضعه بعض التعريفات، كما بدا ذلك في عدم توقفه كثيرًا عند القالب الفني -(أجناسية الأدب)- أو النقدي الذي يضع فيه فنه، بقدر توقفه على ماهية الفن ذاته موضوعيًا وفنيًا.

٦- تبدي هذه الدراسة وعي الفكر الناقد للدكتور "عبدالحميد بدران" في أن يعود برؤاه النقدية إلى منهج علمي وأساس نظري قصده أو لم يقصده، وقد جاء هذا الأساس النظري لديه أكثر وضوحًا في النقد

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

"التشبيهي، والمنظوم" من حيث الفن، وفي النقد "التفسيري، والتأصيلي" من حيث الموضوع.

٧- تؤكد هذه الدراسة اعتداد الأديب الناقد بالتراث النقدي القديم بما رصَدَتْ من استرفاده ما يتفق مع رؤاه من نصوص تراثية ناقدة، شعرًا، ونثرًا فنيا في صورة حكم وأمثال.

٨- توضح هذه الدراسة في الكتاب أن أساليب الاستفهام، والاعتداد بالذات، والتشويق والتكثيف هي أكثر الظواهر الأسلوبية إلحاحًا على الأسلوب الناقد للدكتور "عبدالحميد بدران" في كتابه والذي يعد الأكثر دلالة على توجه نقده، ويأتي ترجمة صادقة لحديث نفسه، وتعبيرًا واضحًا عن مكنونها.

٩- وكذلك تؤكد هذه الدراسة في النتاج النقدي للدكتور "عبدالحميد بدران" ما يوحي به أدبه وإبداعه من صدوره عن أديب وناقد وطني صادق، وأستاذ أكاديمي نابه، استطاع أن ينمي روافد الأدب والنقد في داخله، فلم يطغ إبداعه وأدبه على "أكاديميته"، وكذلك لم تطغ دراساته ونقده على أدبه وإبداعه، ليأتي صاحب علم وفن، ومحصول وافر من زاد الأدب وفنون القول.

وأي من أساليب الفن، وألوان التعبير جاءت بها هذه الدراسة أو لم تأت فإن مقياس الإجادة هو ما أسأل الله -عز وجل- أن يمنحها من سلامة المنهج، وصدق التوجه والعزم.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباحث

## " فهرس المصادر والمراجع "

- "**القرآن الكريم**" .

**أولاً** : **كتب مطبوعة** :

١- "ابن الكاتب" -د/ عبد الحميد بدران- ط المؤسسة العربية للعلوم والثقافة- القاهرة- الأولى ١٤٤١هـ =٢٠١٩م

٢- "أنا"- العقاد- ط مكتبة نهضة مصر- الثالثة- ٢٠٠٥م.

٣- -"تحرير التحبير"-ابن أبي الاصبع – تحقيق: د/ حفني محمد شرف- ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- مصر ١٤٣٥هـ =٢٠١٤م.

٤- "تحسين القبيح وتقبيح الحسن" – محمد بن إسماعيل الثعالبي- تحقيق: نبيل عبدالرحمن حياوي-ط دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت -دون تاريخ.

٥- "تطور الأدب الحديث في مصر" – أحمد عبد المقصود هيكل- ط دار المعارف – السادسة ١٩٩٤م. "

٦- "دراسات في علم العروض والقافية" – أحمد محمد الشيخ – ط الدار الجماهرية للنشر- طرابلس١٩٩٧م.

٧- " دراسة في أدب الرافعي"- د/ نعمات أحمد فؤاد- ط دار الفكر العربي ١٩٥٥م،

٨- "دلائل الإعجاز"-تحقيق: محمود محمد شاكر- ط مطبعة المدني- القاهرة ١٤١٣هـ -١٩٩٢م.

٩- "زهر الأكم في الأمثال والحكم"- الحسن بن مسعود اليوسي- تحقيق: د/ محمد حجي، ود/ محمد الأخضر- ط دار الثقافة بالمملكة المغربية٢٠٠٩م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

١٠- "سحابة صيف"- د/ عبدالحميد بدران- ط دار النابغة للنشر والتوزيع- ١٤٣٨هـ =٢٠١٧م.
١١- "سير أعلام النبلاء"- الإمام شمس الدين الذهبي- ط دار الفكر- بيروت دون تاريخ.
١٢- "شرح شواهد الإيضاح لأبي علي الفارسي"-عبدالله بري- ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١٣- "صحيح البخاري" -ط دار طوق النجاة- الأولى ١٤٢٢ هـ .
١٤- "العمدة" -أبو الحسن بن رشيق القيرواني- تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد- دار الجيل- الخامسة١٤٠١هـ -١٩٨١م.
١٥- "فن السيرة"- د/ إحسان عباس- ط دار الثقافة – بيروت- الرابعة ١٩٧٢م.
١٦- "لسان العرب"- ابن منظور المصري- ط دار المعارف ـمصر – دون تاريخ.
١٧- "مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي"- أحمد قبش- ط دار الرشيد- الثالثة ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م.
١٨- "النظرات"- مصطفى لطفي المنفلوطي"- ط دار الآفاق الجديدة ١٤٠٢هـ =١٩٨٢م.

**ثانياً : دواوين ومجموعات شعرية :**

١٩- "ديوان البحتري"-ط دار المعارف-الثالثة دون تاريخ.
٢٠- "ديوان النابغة الذبياني" – شرح: عباس عبدالستار- ط دار الكتب العلمية ببيروت – الثالثة١٤١٦هـ =١٩٩٦م.

٢١- "رحى الذكرى" -د/ عبدالحميد بدران- ط دار النابغة للنشر والتوزيع -الأولى ١٤٣٧ هـ = ٢٠١٦م.

٢٢- "ديوان شاطئ السلوان"-د/ عبدالحميد بدران- ط دار النابغة للنشر والتوزيع- الأولى ١٤٣٨ هـ =٢٠١٧م.

٢٣- "فصل السكون"-د/ عبدالحميد بدران- ط دار النابغة للنشر والتوزيع- الأولى ١٤٣٩هـ =٢٠١٨م

**ثالثاً : المجلات والدوريات العلمية:**

٢٤- مجلة "الرسالة" -العدد ٤٠ بتاريخ ١٩٣٤/٤/٩.

**٢٥-** جريدة "القبس نيوز" مقال عنوانه: المعركة المنسية بين العقاد ونجيب محفوظ -عدد ٢٠٠٦/١/٧م، موقع: alqabas.com.

**مواقع شبكة المعلومات الدولية " الانترنت" :**

- www.iasj.net.article
- https:ar.m.wikpedia.com

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

# فهرس الموضوعات


| م | الموضـــوع | الصفحة |
|---|---|---|
| ١- | المقـــدمـــــة | ٩٤٧٧ |
| ٢- | المبحث الأول: نقد الشاعر | ٩٤٨٠ |
| ٣- | المبحث الثاني: نقد الناقد | ٩٤٨٩ |
| ٤- | المبحث الثالث: النقد الموازن | ٩٤٩٨ |
| ٥- | المبحث الرابع: نقد فكرة الإلهام وطرق الكتابة | ٩٥٠٨ |
| ٦- | المبحث الخامس: النقد المفاهيمي | ٩٥٢٢ |
| ٧- | أ-تحرير المصطلحات والتعريفات | ٩٥٢٣ |
| ٨- | ب-قولبة الفن "أجناسية الأدب" | ٩٥٢٦ |
| ٩- | المبحث السادس: النقد المنهجي | ٩٥٣١ |
| ١٠- | أولًا: النقد التشبيهي | ٩٥٣٢ |
| ١١- | ثانياً: النقد المنظوم | ٩٥٣٥ |
| ١٢- | ثالثاً النقد التأصيلي | ٩٥٣٩ |
| ١٣- | أ-الصدق الفني والخيال | ٩٥٣٩ |
| ١٤- | ب-استرفاد التراث النقدي | ٩٥٤٥ |
| ١٥- | رابعاً: النقد التفسيري | ٩٥٤٨ |
| ١٦- | المبحث السابع: نقد الأسلوب | ٩٥٥١ |
| ١٧- | أ-الاستفهام | ٩٥٥٢ |
| ١٨- | ب-التشويق والتكثيف | ٩٥٥٣ |
| ١٩- | جـ-الاعتداد بالذات | ٩٥٥٥ |
| ٢٠- | الخـــــاتمـــة | ٩٥٥٧ |
| ٢١- | فهرس المصادر والمراجع | ٩٥٦١ |
| ٢٢- | فهرس الموضوعات | ٩٥٦٤ |